2271.5083.48.385
al-Kayyali
Sira'fi sabil al-qawmiyah al-
al-'Arabiyah

DATE	ISSUED TO
JAN 1 2 1965	Bindery

2271.5083.48.385
al-Kayyali
Sira'fi sabil al-qawmiyah al-
al-'Arabiyah

DATE	ISSUED TO
JAN 1 2 1965	Bindery

2271
5083
.48
.385

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074067883

محمد الكيالي

صراع

في سبيل القوميّة العربيّة

al-Kayyālī, Sāmī

سامي الكيالي

Ṣirā'

صراع في سبيل القومية العربية

١٩٥٩

المقدمة

بقلم

الناقد الحر الاديب المهجري الكبير الاستاذ نظير زيتون

***

إنه داعية من دُعاة التجديد والاصلاح والنقد .

وانه رائدٌ من روادّ النهضة الاجتماعية والفكرية والقومية.

وانه فاتحٌ من الفاتحين في ميادين الصحافة والادب والتاريخ.

وقد تخاله ، إن سعيت الى آثاره في دنيا القلم ، شيخاً ينيف على الثمانين وقد رقدت على رأسه فلاةٌ دكناء جرداء ، في اطار جليل من نثير الثلوج البيضاء ، وغاص في محياه رقراق النضارة الصهباء ، وامعن في الخريف والتحريف، فخبا الشعاع في المحجر الرهيف، واذا قصر الشباب المنيف، طللٌ لهيف وظلٌ اسيف.

ولكن سامي الكيالي ، نسأ الله في حياته ، ليس بشيخ ارقام واعوام ، وانما هو شيخ صحائف واقلام ، ومعارف وطرائف .

11-12-64 1985
2271
.5083
.48
.385

وروائع وبدائع ، تجلّى فيها الفكر فجراً ، والأدب خمراً ، والمعرفة بحراً ، والديباجة تبراً ، الى حصافة ورصانة ، والمعية وفطانة .

نعم ، قد توحي اليك مجلدات مجلته «الحديث» ، الاثنان والثلاثون ، ومؤلفاته المطبوعة التي تجاوزت العشرين ، انه شيخ طاعن في السنين ، والصحيح ان شمس حياته لم تتكبّد سماء الكهولة ولا مالت الى الغروب ، ولعلّك اذا حدقت اليه وتأملته ، تحار ولا تدري أعينه أكبر من سنه ام سنه أكبر من عينه ، اذ تلمح فيه مسحةً من ريّق الشباب الريّان ، ومضة تترجّح بين العين والجنان .

ولا عجب ، فقد نبغ غضاً غضيراً ، وليس الحداثة عن حلم بمانعة كما قال سيد الشعراء ، ذلك ان النبوغ الاصيل ، كثيراً ما يسبق جناه وعطاؤه ربيعه ، فيطلّ مع الشتاء في زحمة العواصف والزمهرير القارس ، والشآبيب والظلام الدامس ، وكأنّ في صميم عناصره لهباً يشقّ علاف الزمن ، فتتفتّح اكمام ازاهيره ويؤتي ثماره يانعة شهيّة ، قبل ان تطبع الشمس على وجه الأرض قبلتها الحارة الوفية ، وقبل ان توقظها من هجعة الشتاء الدجية ، وقبل ان تخلع عليها غلالها البيضاء السنيّة ، وتنسج لها بشعاعها الدافيء الحنون حللها السندسية .

وعلينا فوق هذا ان نعترف بفضل البيئة المنزلية في تقويم هذا النبوغ وصقله ، فقد تفتحت عينا سامي الكيالي على بيت عريق علماً وأدباً وسراوةً . اذ نشأ في ظلال الكتب والنهاوة على

سجعات الادباء . والمؤلفين العلماء . واغاريد الشعراء ، وشقشقة الفصحاء البلغاء . وعبٌ من ينابيع المعرفة ما طاب له الارتواء وكانت له بدل المدرسة مدرستان ، وعوض النعمة نعمتان ، ولا جدال في ان المدرسة البيتية الصالحة ، هي الجذر الذي تنبت عليه الاغصان ، وهي الاصلُ الذي تُبنى عليه الاركان . فاذا استقام واستوى تألّق النبوغ ، وتحتّم البزوغ ، بمقدار ما في النفس من ملَكات ، وما في الحوانح من نبضات وخلجات ، وما في الذهن من لمعات ومضات .

وصعبٌ علينا ايضاً أن نتحدث عن سامي الكيالي ، ولا نشير الى بيئته الجغرافية ، الى « المدينة التي رضع لبانها وشمٌ طيب هوائها وترعرع تحت سمائها ، وعاش حياته في ربوعها » كما قال في كتابه النفيس (الحركة الادبية في حلب) .

عسيرٌ علينا أن نذكر سامي الكيالي ولا نشير الى حلب الشهباء عاصمة الحمدانيين ، ومدينة سيف الدولة وابي فراس والمتنبي ، مدينة روادّ اللغة العربية والنهضة الادبية في مطلع القرن التاسع عشر ، امثال رزق الله حسون والمطران جرمانوس فرحات وفرنسيس مراش وعبد الرحمن الكواكبي ومريانا مراش وجبرائيل الدلاّل وسواهم من الروادّ والاعلام الذين سطعوا في سماء الضاد ، قبل ان يهزّ البحث الادبي ، بلداً عربياً آخر .

في الشهباء مدينة البطولات والمكرمات ، وكعبة الفنون الموسيقية والشعر والجمال ، والرؤى والسحر . رأى سامي

الكيالي النور ، ونشأ وترعرع واستوى ، فطبعته بطابعهـــا ، وخلعت عليه من بدائعها ، وسقتـه من مشارعها ، وزوّدته من طبائعها ، فكان له ذلك القـلم الرهيف المُعندل ، وذلك الاديب العميق المتأمل ، وتلك الشعلة الضافية الانوار والالوان ، المجلجلة الاصوات والالحان ، وتلك اليقظة التواقة الى العاصفة القُدسية البحثية . والكلمة النيرة الانسانية ، بل كان سامي الكيالي تلك الموهبة الباذخة الفيّاضة التي شذبتها وصقلتها ثلاث بيئات تقيـة هي البيئة المنزلية ، والبيئة المدرسية ، والبيئة الاجتماعية الجغرافية ، فزكت وأمرعت . وصفت وأبدعت .

★★★

والحديث عن سامي الكيالي ، اذا شئنا ، مطوّلا مفصلا ، يطول ويطول ، وخصوصاً اذا المممنا بما صنّف والف ، وحقق ودقق ، وكتب وأطنب ، حيث نلقى الصحفي والاديب والاجتماعي والمؤرخ والعالم والناقد الدارس ، ممـا نراه جليـاً متألقاً في كل آثاره الادبية والفكرية ، واتجاهاته الاجتماعية الجريئة التجددية ، غير ان المقام ضيّق محدود ، ما دام الموضوع قاصراً على تقـديم كتابه الجديد ـ **صراع في سبيل القومية العربية** ـ .

ولا تظنن قبل ان تصفح هذا الكتاب ، وتتنقل في فصوله ، وتجوب في حقوله ، وترافق الكاتب الأممي في صولاته وجولاته ، وصيحاته ولفتاته ، نعم ، لا تظننّ انك ستسمع من خلال هذه

المقالات صدى صوت السياسي او الداعية الحزبي ، لا . هـذا الصوت لن تسمعه ، وانما ستسمع هدرة العربي القومي المؤمن بوطنه الابي النهي ، ايمانه بالله العظيم العلي ، فسامى الكيالي ، كما عرفته ، ليس بسياسي أو حزبي، ولكنه قومي عربي ، وما كانت العروبة وبالتالي القومية العربية، حزباً سياسياً مجلوباً ، وبرنامجاً مكتوباً ، وحرفاً مسكوباً ، وانما هي في الاوطان العربية ، انبثاقٌ طبيعي كلّي من وَحدةٍ عرقية روحيّة كاملة تأصلت جذورها في احشاء الوجود . وانما هي صيحة الحياة والحرية والانسانية . وانما هي جغرافية وتاريخ ولغة وحضارة ورسالة ، وانما هي الانصهار في لهب التعايش المقدس والمصير الواحد . التعايش الوثيق العرى العميق الجذور ، السديد المنازع والمثل العليا . في ايمان وبطولات ، وفتوحات ومرؤات .

ولست ازعم ان سامي الكيالي درس في مقالاته القومية قضايانا الوطنية دراسة شاملة كليّة ، فهو كما قلت ليس بسياسي ، ولكن بعض المناسبات والاحداث الوطنية ، وبينها مايثلج الصدر، وما يقوّس الظهر ، وبينها ما يملأ النفس فخرة ، وما يدق القلب حسرة ، كانت تستفز خاطره وشعوره ، فتجري على يراعه ، طوراً عبرات غاضبات ، وتارة ابتسامات مشرقات ، وأخرى رموزاً واشارات ملتهبات .

ويمهّد سامي الكيالي لمقالاته القومية فيتساءل مستنكراً ادب اللامبالاة امام الواقع الوطني ويقول : كثيراً ما يتساءل

رجل الفكر في هذه اللحظات العصيبة التي يمرّ بها العالم العربي ـ كثيراً ما يتساءل : هل يستطيع الاديب ان ينفصل عن واقعه (أي واقع أمته) ليتحدث في شئون الفكر ـ فيما يتصل بالادب والاجتماع والفلسفة وبكل ما يمسّ الترف الفكري ؟

ولا يلبث اديبنا البحاثة ان يجيب بالنفي زاجراً « لا.. وهذا ما يقول به كل اديب حرّ يتفاعل مع واقعه ، ويتجاوب مع المثل العليا بين قومية وحضارية وانسانية » ثم يتابع قائلا :

«اذن، فلتكن كلمتنا في ما يشغل البال ويضطرب له الفكر . فما يدبره القراصنة الغزاة من مؤامرات دنيئة للقضاء على القومية العربية» .

وقد صدق الكاتب وأصاب كل الاصابة .

فعندنا ان شئون الفكر من ادب واجتماع وفلسفة ، يجب ان تتصل اتصالا وثيقاً بواقعنا القومي، في مدّه وجزره ، في تلفتاته واتجاهاته، في آلامه وآماله، في عثراته ووثباته ، في حقائقه واوهامه، والا كان الفكر كتلك الطفيليات التي تعيش على هامش الحياة ، لا جذور لها في الارض ، ولا عطاء ، او كذلك الهارب من مجتمعه ودمه وانسانيته ، مطمئناً الى احاسيس انانيته العمياء البكماء ، في برجٍ من العاج وسلم في الحلو . او كذلك الجندي الذي فرّ من المعركة ورمى سلاحه ومزق ثوبه العسكري ، ليناجي حبيبته في القمر ، وفي الزهر ،وفي لوحةٍ فن ، وقصيدة

شعر ، سافرة او ذات خمار اسود، يناجيها مُستنوقاً ، فلا تشنف مسامعه صيحات البطولة واناشيد النضال . ولا تكتحل ابصاره بجراح العزة وانتفاضات المجد ، ولا تبتهج يداه وجوارحه بطعن التنين وعناق البعث .

وهـــل كانت الثورات والحريات والفتوحات السياسية والاجتماعية والعمرانية والانسانية غير ثمرة من ثمار الفكر، من ثمار الادب والاجتماع والفلسفة ؟

ألم يكن ـ الادب ـ في عالمنا العربي ، كما كان في الغرب ، رائد الحركات القومية والسياسية والتقدمية والتحررية ؟ هـل كان لزعماء السياسة ان يقودوا الجماهير ، لو لم يسيروا في اضواء الادب ، اضواء الادب القومي الذي مهد لهم الطريق بما ايقظ من نفوس هاجعة ، وبما هزّ من عزائم مسترخية ، وبما اثار من حماسات وحميّات وبطولات .

ونحن اذا قلنا بأن فتوحاتنا في مضامير الحرية والكرامة الوطنية والانتفاضات السياسية والتحررية والتقدمية ، والاصلاحات الاجتماعية والعمرانية والتشريعية ، نحن اذا قلنا بأن هـــذه الفتوحات والانتفاضات والاصلاحات هي من نسج أقلام المفكرين والادباء ، ادباء الحرية والقومية والانسانية ، فلا نظلم السياسيين ولا نتحامل عليهم . لقد كانوا الصدى ، ولم يكونوا الصوت .

وكانوا الوتر ، ولم يكونوا النغم ، وكانوا الجسد ، ولم يكونوا الروح ...

فالادب النضالي او الادب المنبثق من صميم الحياة والمجتمع والأمة والمثل العليا ، هو الذي اوحى بالمعركة ، وهو الذي رسم حركاتها وخطوطها ، وهو الذي هيأ لها الجنود واذكى نيرانها ، واشرع بنودها ، وهو الذي تلظّى بسعيرها وكان وَقودَها ، وهو الذي أخذ على نفسه المضي بها في سبيل النصر ، بينما كان السياسيون وجلّهم انتهازيون ووصوليون يتطمّحون ويترقّبون المناصب والمكاسب ، او يتهافتون ويأتمرون ... ثم ينهض الادب ليبني ما هدمته السياسة ..

وما اشبه هذا الادب العظيم المعطاء ، هذا الادب الصوفي العملاق ، المنزّه عن الاهواء والادواء ، ما اشبهه في معركة الأمة ، في معركة البحث والتحرر بالجندي المجهول .. انه يُعطى من عقله وقلبه ولا يُشكَر ، وتلفّه النار المقدسة بألسنتها الجائعة ، ولا يُذكر ...

***

ويمضي **سامي الكيالي** في التعليق على خيانة الصديقة انكلترا للعرب ، فيقول (وبعد فما احوج ساستنا ورجالاتنا « الطبيي القلب » . ان يكونوا اكثر حذراً ، واكثر تشاؤماً مما يلوّح به الاصدقاء الالداء !) .

ونحن حين نقع على هذه العبارة ، وفيها النصح والتحذير (لساستنا الطبي القلوب) يتبادر الى اذهاننا هذا السؤال : أصحيحٌ ان الذين عقدوا المعاهدات بين العرب والانكليز ، منذ اطلق الشريف حسين ، رحمه الله وغفر له ، رصاصته التاريخية المشهورة ، حتى هوى العرش بأبن حفيده فيصل الثاني وهوى معه في اعماق الابدية رصاص الثورة العراقية المحرّرة ، أصحيح ان هؤلاء الذين ربطوا العرب بالانكليز ، هم ساسة ؟ وهم طبيو القلوب ؟

اما انهم ساسة فلا ، والف لا ... بيدَ أننا نتسامح وندعوهم مجاسرة شعوب من الطراز الغيّ الرخيص . لا نرفعهم ونقول انهم كانوا تجّاراً . ذلك ان المَلَكة التجارية وهي ذات مدلول واسع عميق في الذكاء والفهم والمداورة ، تأبى على صاحبها ان يبيع السلعة التي قيمتها الف بواحد ، اما هؤلاء فباعوا شعباً كبيراً بأتفه الاثمان واحقرها .. بحفنة من الذهب ، وأربع ارحل من الخشب المدهون المموّه ، لكرسي متخلخل متفكك.. وحرابٍ يطعنون بها الحريات والامنيات ، وسياطٍ يضربون بها الانتفاضات والانطلاقات،واكياسٍ ملوءها المخدرات المضللات، والاوهام والخرافات .

توهموا انهم ابتاعوا العرش والسلطان . وكان الأمر ان اشتراهم العرش والسلطان ، بأبخس الاثمان ...

هؤلاء الذين استعاضوا عن شعوبهم بجيوبهم ، ونظروا الى الصفقة الانكليزية من وراء اللقب والنشب ، والتفخيم والتعظم ، والطبل المقروع ، والعلم المرفوع ، ولا يجوز مطلقاً ان نسميهم ونسمّي من ساروا في ركابهم ، وركعوا في محرابهم ، ووقفوا على ابوابهم ، نعم ، لا يجوز مطلقاً ان نسميهم ونطلق عليهم لقب « سياسيين » هذا الطراز من السياسيين كان مهزلة وطنية في مأساة وطنية ، أو مأساة هزلية ، في مهزلة جنائزية ، وقد شهدنا لسوء الحظ هذه الاهازيل الباكية ، وهذه الفواجع القانية .

ثم لا عرابة ان تنتهي المسرحية السياسية بهذه المآسي ، فهنالك جوعٌ قديم صاخب . وظمأ قديمٌ لاهب ، ولكنه ليس جوعاً الى الحرية ، ولا ظمأ الى اليعربية ..

ولا شك ان اخانا سامي الكيالي ، رفق بهم أشد الرفق ورحمهم كل الرحمة عندما انتحل لهم العذر فوصفهم بأنهم « طيبو القلب » .والصحيح انه هو « الطيب القلب » لا هؤلاء السوّاس المتسوّسون الذين انبثقوا من (المعامل البريطانية) موسومين بميسمها ، فبرزت على جباههم عبارة (مصنوع في انكلترا) واضحة جليّة ..

***

ويسترعي اديب الشهباء الكبير سامي الكيالي انتباه القارىء في مقاله الرصين (رجل قاد أمة الى المجد) فيطالعه بما يستحق من عناية ، ولكن هذا القارىء لا يلبث ان ينسلّ منه عبارةً

ويخصّها بكثير من التأمل والدرس وهي (ولا يزال الباحثون في حيرة عما اذا كان الرجل هو الذي يخلق الامة ام الأمة هي التي تساعد على تكوين نهضات الأمم» .

وأول ما نلحظه أن طبيعة السؤال تقتضي أن نقول بلسان هؤلاء الباحثين الحائرين : هل الرجل هو الذي يخلق الأمة ام الامة هي التي تخلق الرجل ؟

ولا جدال ان الباحثين الآخرين يتساءلون أيضاً — هل المهندس هو الذي يخلق الحجارة ، ام الحجارة هي التي تخلق المهندس ؟

والمنطق يدلنا على أنه لولا المهندس لما كان للحجارة شأن في فنٍ عبقريٍّ معماري فهو الروح والحجارة الجسد اي المظهر الفني العبقري الذي تتجسّد فيه مواهب المهندس .

والمهندس في هذا الموقف هو الشعب ، والحجارة التي تتألف منها صروحه الباذخة الشامخة تمثّل خصائصه وميزاته ودقائق اتجاهاته ، فهي بالتالي مرآة حضارته النفسية ومدى فهمه للحياة وبطولاتها .

والمهندس المصمم (الشعب) يحتاج حتماً في بناء الصروح الى (معلّمين) يشرفون على العمل المعماري ولهؤلاء فضل (القادة) لا فضل المهندس المصمّم الخلاّق . وهم يرتفعون احياناً الى مرتبة البطولة ، اذا تقيّدوا بتصميم المهندس . اما اذا انحرفوا ، فلا شك

ان البناء ينهار فوق رؤوسهم ولنا في التاريخ ألوف العِبَر .

ونحن اذا انعمنا النظر في التاريخ البشري ، وفي كل ما رواه ودوّنه من الخرائب والعجائب ، وفي كل ما مرّ به الانسان من التجارب ، وكلّ ما خاضه من المعارك واصطبغ به من المذاهب ، اذا تأملنا في كل ما ترشّفه من خمور الاجساد ، وما تقيأه من سموم الاحقاد فأننا لا نقع على رجل واحد ـ بلغ شأنه ما بلغ ـ استطاع ان يخلق امّة ، ولكننا نقع على مئات ومئات خلقتهم امهم ونصبتهم ابطالاً واشباه آلهة ...

مثلا ـ لولا الروح القومية الابية تجيش في صدر الشعب ، لما استطاع انبغ القادة ، واعظم الزعماء ، ان يحرر هذا الشعب من اساره ، ويسير به في معارج عزته وفخاره . والقائد أو الزعيم في مثل هذه الحالة انما يشبه الآلة الموسيقية التي يعزف عليها الشعب اناشيده وانغامه ، وآلامه واحلامه ، أي ان الشعب هو المؤلف وهو المبدع ، وهو الروح ، وما المعزّف سوى صدى ذلك التأليف وذلك الابداع ، وذلك الروح ، وهنا تكمن المواهب الخلاّقة ، بل هنا يكمن سرّ الشعب الخلاّق .

قديماً ، ارادموسى الكليم ان يحرر اليهود من عبودية فرعون ، فهرب بهم من وادي النيل الخصيب ، الى طور سينين الجديب ، موليّا وجهه شطر فلسطين ، ولكن ما ان توسط صحراء سيناء واستقر قليلا حتى أخذ اليهود يتذمرون من شظف العيش ويتنكّرون لموسى ، كانوا يؤثرون العودة الى مصر عبيداً ،

فهناك يلقون ما يسد جوعهم . وهناك ينامون آمنين في دورهم . ولقد ضجوا وثاروا على قائدهم موسى الذي حاول ان ينقذهم ويفتح لهم بلاداً تدرّ لبناً وعسلا ، ولكنهم رفضوا الحياة الحرّة الابية يتخللها بعض الشدّة العابرة ، وآثروا حياة العبودية مع امتلاء البطون ..

ولما يئس موسى من دخول فلسطين بهؤلاء العبيد ، مكث في برية سيناء اربعين عاما يُتوهُ بهم من مكان الى آخر ، حتى ينقرض العبيد ، وينشأ جيل جديد . ولكنه لقي وجـــه ربه قبل ان تتحقق امنيته . .

وعلينا ان لا ننسى ما لموسى الكليم من مكانة وكرامة ورسالة ، مع هـذا اخفق كل الاخفاق في (خلق) شعب حر . ذلك ان التجاوب بينه وبينهم كان مفقوداً . كانت انغامـه غير انغامهم ، واحلامه غير احلامهم . كانوا يزحفون على بطونهم فوق سطح الغبراء ، وكان يحلّق بجناحيه الى العلياء . .

وقصة موسى القديمـــة تتكرر في كل عصر بمظاهر شتى وبمفارقات متباينة بين شعب ينشد الكرامـة والحرية ، وقائد يعفّر وجهه في حمـــأة الاستكانة والعبودية ، اما اتاكم حديث الدكتور مصدق في ايران ؟ ولكن كم ولد الآباء العبيد احراراً ، وكم من قائد حكموا عليه بالخيانة ، فرفعه الابنـاء الاحرار الى مصاف الابطال الابرار .

ثم اما اتاكم حديث ذلك الشاب المغرور الذي ساق اليـــه

القدر الأعمى عرشاً وجيشاً ، فتمادى طيشاً وبطشاً ، وكان ذلك الاعشى ، وكان عرشه له نعشاً . اما اتاكم حديث الحسين في الاردن وكيف راغ روغان الثعالب .

وكيف جرّته القومية العربية جراً الى ربى الحربة ، حتى اذا استوى على اريكة السيادة الوطنية، استكبر ان يخلع الانيار ويصافح الاحرار ، وحنّ قلبه الى سيده الدينار والاستعمار ، فنكل وانخذل على مضض من شعبه المغوار ، ويا سبحانك ربي كيف تعمي الابصار ، عن الشمس في رائعة النهار ..

ونشهد أيضاً مثل هـذا الصراع القومي الحاسم بين الشعب التونسي رئيسه بو رقيبة الذي هو (مصنوع في فرنسا) وان كان يزعم انه غير مصنوع من طين وهواء ، وغرور وخيـلاء، شعبه في مَعلاة الايمان والرجاء، وهو في مسفلة الكفران والاستخذاء .

وكما شهدنا ثورة لبنان على شمعون وانتصار الشعب على الطغيان، سنشهد دون ريب ثورة الاردن ، وثورة تونس ، وسائر الشعوب المغلوبه على أمرها . ذلك ان الشعب وان غفا فألى حين ولا بد ان يستيقظ عاجلا أو اجلا ولا بد ان يخلق قادته وابطاله ، كما خلق في سورية شكري القوتلي وهنانو والجابري وسواهم ، وكما خلق مصر جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وآخرين ، وفي العراق عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني، وفي تركيـا مصطفى كمال او اتاتورك ، وفي روسيا لينين وستالين وخروشوف، وفي الهند غاندي ونهرو ، وفي الصين ماوتسي تونغ

وشوان‌لاي وفي يوغوسلافيا تيتو .. الخ .. هؤلاء كلهم خلقتهم شعوبهم ، وانبثقوا من آلامها واحلامها ، فكانوا امنيتها وكانوا اغنيتها . لقد كان التجاوب دائماً بينهم وبين شعوبهم ، فاذا هم المرآة الصقيلة التي انعكست عليها الانتفاضات والوثبات ، والبطولات والخلجات المتلألئات . . ومن ثمّ ، فالشعب الذي يخلق آلهته واساطيره ورؤى جماله . حريّ بخلق عمالقته وقادته وابطاله .

فعلينا اذن ان نؤمن دائماً بالشعب وبمقدرته على اجتراح المعجزات ، وايماننا به يعني ايماننا بأنفسنا وبقوانا وطاقاتنا اللامتناهية . والاّ كنا « اتكاليين » غير اهلٍ للحياة ...

***

ويسرد لنا سامي الكيالي بقلمه الثرّ ، واسلوبه الاغر ، لمحات من قضايانا ومآسينا العربية ، ويرسم لوحات رائعة لنضال شعوبنا الابية الوفية ، فنقف أمامها معتزين معتدّين ، انه رسّام بارع ، يغمس ريشته طوراً في نار مشبوبة في حنايا الضلوع ، وتارةً في مآق تسحّ بالدموع ، وأخرى في دماء تتلظّى كالشموع . ثم يمضي بك على اجنحة من سحر الكلمة لتسمع انشودة الأمل في فم الربيع السجوع ، أو شهقة الأسى في القلب المفجوع ، أو صرخة الظمأ تسفع حنجره الينبوع ، او قعقعة المجد بين السيوف والدروع ...

هذا كله تلقاه في ما استعرضه من الاحداث الوطنية التي لمعت فيهـــا جراح ابيّات ، صدّاحات متهللات ، واينعت آمالٌ مشرقات باذخات ، او تلك التي طعنت كبرياءنا القوميـة بخناجر المؤامرات والخيانات . واغتالت أمجادنا وولغت في دمائنا ،زلفى للدولارات وشقيقاتها « بنات الذوات » الشقراوات ، وكرمى للارائك المتخلّعات ، والسلطات الفاسقات .

ولنبكِ دماً قانياً عندما نذكر فلسطين ومعارك فلسطين ونكبة العرب في فلسطين .

ولننحنِ خُشّعاً ، بل لنركع تكريماً لدماء البطولة العربية التي هدرها الافك والمكر واللؤم في فلسطين .

ولنطرق خجلا أمام ارواح اولئك الشهداء الابرار الذين سالت دماؤهم انواراً في صفحات نضالنا القومي في فلسطين ، فما ثأرنا ، ولا غضبنا ، ولا انتقمنا من اليـــد السوداء المغموسة بدمائهم الذكية .

ويروي لنا سامي الكيالي بقلمـــه المشبوب بعض ملامح المأساة الفلسطينية في مقـاله الغاضب الثائر : (المحنة الرهيبة) ثم يتساءل كاسفـاً مكفهراً ، ايّا حميّا فيقول : فما هو موقف العرب من هذه النكبة الكبرى ؟ انكتفي بالعويل والصراخ ، وبالمظاهرات والاحتجاجات ، وبالجلسات السرية والاجـتماعات العلنية ، يعقدها الملوك والرؤساء ، ثم بتوزيـــع الاتهامات على هذا وذلك ؟

ولا يلبث ان يستنفر قومه ويخاطبهم مؤمناً « ان في عنق كل عربي واجباً مقدساً للعمل، اريد البذل والتضحية بالمال والانفس، لانقاذ هذه البقعـــة المقدسة من الصهيونيين المجرمين ، فمنظر الضيوف الفلسطينيين الذين لجأوا الى ديار العرب ليدمي كل قلب، ولن يهدأ لنا بال ما لم يعودوا الى بلادهم مكرمين وقـد طردوا هذه الحثالات ... » .

ويتابع مقاله ليصل بالقارىء الى العقدة الخفيّة في نكبـة فلسطين ، غير انه لا يكشف القناع عن المجرمين ، ولا يذكرهم بأسمائهم ، بل يشير اليهـم اشارة تلفت النظر وتثير الاهتمام ، ويقول : « في المجتمعات والاندية وعلى لسان الجميع ، همسات صارخة واتهامات منكرة لبعض الرجالات المسؤولين لتهاون بعضهم وانصياع الآخرين لقرارات مجلس الامن بقبول الهـدنة الثانية التي كانت اكبر بلفة «سياسية» مهدت للاستعمار الانكلو اميركان ولليهود ان يوطدوا اقدامهم ويفرضوا نفوذهم على هذه البقعـــة الغالية من ارض العرب » .

ونرى مثل الاشارة او اجلى قليلا في حاشية عقّب بهـا على مقاله (حرب فلسطين) فقال : « من المؤلم ان تنكشف خيانة بعض الملوك والرؤساء اثناء الحرب مما ضيع ثمرة الحرب واضاع فلسطين » .

ونحن نكتفي بهذا القدر الذي يميط اللثام عن العقدة الخفية في نكبة فلسطين ، خيانة بعض الملوك والرؤساء هي التي هدرت

دماء العرب في فلسطين ، وهي التي قادتنا الى الكارثة القومية الكبرى .

فمن هم هؤلاء الملوك والرؤساء وما هي تبعة كل منهم في هذه النكبة ؟ هذه التفصيلات الدقيقة لم تعالجها اقلام السياسيين والمؤرخين حتى اليوم ، وقد مضى على النكبة عشرة اعوام . وقد ردّ هذا السكوت الطويل لاعتبارات سياسية ومحلية وشخصية ، ولكن ايطول هذا السكوت الطويل ؟ وهل من مصلحة التحرر العربي الذي اشرع لواءه **سيادة الرئيس جمال عبد الناصر** ان تظل اسرار النكبة الفلسطينية محجوبة عن الابصار والاذهان ؟

ان التاريخ لا يرحم احداً ، واذا طال سكوته وهمسه ، فليصرخ عداً صرخة مجلجلة مدويّة توقظ الموتى في القبور ، وتصبّ على رؤوس الخائنين الماكرين لعنة الدهور ، والدم الذكي المهدور .

والطريف الطريف في مأساة فلسطين ، وهو امر جدير بالانتباه والتعليق ، ان الحكومات العربية التي اشتركت في معارك فلسطين السياسية والعسكرية ، تلقت نبأ هزيمتها الشائنة ، بكثير من الهدوء والسكينة ، والرضا ايضاً ، او كما تستقبل اي نبأ عادي ، فما استقالت وزارة تكفيراً عن عدوانها المباشر على الشعب العربي ، او تكفيراً عن غفلتها وسوء سياستها وتدبيرها ،

او احتجاجاً على من تشبثوا بقبول الهدنة واصرّوا عليها . او غضبا للكرامة العربية التي مزقتها عمدا ايدٍ عربية تقودها ارادةٌ استعمارية .

الطريف الطريف، ومن الطرائف ما يستدرّ ويثير الشجون، انا احداً من وزراء الحكومات العربية المهزومة سياسياً وعسكرياً في معارك فلسطين، حمي انفه وعصفت في رأسه سورة الانفة، وملكته العزة القومية ، فآثر التخلي عن الحقيبة الوزارية ، بل استمر الجميع على الحكم ، وتابعوا الاستقرار في مناصبهم ، كأنهم غير مهزومين ، وغير مسؤولين . . . وكأنه « لا جديد في الساحة الغربية » . كما اعتاد البلاغ المأثور ان يقول في الحربين العالميتين الماضيتين، وإن بلغ عدد القتلى والجرحى مئات ومئات.

غير اننا نحمد الله اذ انتهى عهد وزارات اللامبالاة ، وعهد « التطبيقات » النيابية والمساومات ، واطلّ فجر عبد الناصر مبدداً للظلمات ، مسدّداً للخطوات .

***

ونحن اذا لم نر في هذا السفر التاريخي القومي البليغ أيديا متشابكة وصدوراً متدافقه، واقداماً كرارة واجساداً متطاحنة، وعثيراً يحجب الشمس ، واذا لم تقع ابصارنا على اولئك المضللين الذين عبثوا بشعوبهم فما اقاموا لها وزناً ، وآثروا مصالحهم

ومكاسبهم ، فأنها تقع في هذا الكتاب على صدق يملأ القلب ، وعلى ايمان يغمر الصدر ، وعلى عزيمة تهز الجوانح . بلى ، وتقع ايضاً على عين رنون ساهرة ، ثاقبـــة زاجرة ، وعلى فكر اصيل الومضات ، عميق اللفتات ، وعلى خلجات مشرقات معندلات . وعلى آيات متفاوحات مستنفرات .

وكان الكاتب الحصيف الجليل ، صريحاً جريئاً في معالجته لقضايانا القومية وعثراتنا السياسية ، ولقد كنا بأمنٍ من هذه العثرات ، لولا « تخاذل الزعامات الخاوية ذات الاثواب المهلهلة واهتمامها بالعرض دون الجوهر ، وبالقشور دون اللباب » كما قال الكاتب الالمعي ، ولولا ان تولى قيادتنا « زعماء اكثرهم من الساسة المحترفين ومن الوصوليين الجشعين » كما صرح ايضاً .

غير ان العهد الجديد ، سدّ الابواب في وجه هذه الزعامات الخاوية المهلهـــلة ، وهؤلاء الساسة « المتسوّسين » المحترفين الوصوليين الجشعين ، وهم مصدر الشقـاء والبـلاء ، وقضى على المساومات والمداورات وقطع دابرها ، فلتطمئن النفوس بعد اليوم .

ويبأس الكاتب البحاثة من ساسة الرعيل الاول والمخضرمين ، فلا يلبس ان يستنفر الشباب ويناديهم قائلا :

« ايها الشباب : ان في عنقكم واجبـاً مقدساً وهو ان تعملوا بروح جديدة ، وبنزعة حرّة ، وبتفكير يختلف كل الاختلاف عن تفكير « محترفي السياسة » .

ايها الشباب : انتم الأمل المعقود عليه الرجاء في هـذه الازمة العصيبة التي تجتازها الامة العربية في هـذه الفترة من تاريخها الحديث » .

هذه الصرخة اطلقها الكاتب المفضال منذ عشر سنوات على اثر نكبة فلسطين ، وكان بعيد النظر ، صادق الفراسة ، عميق الفكر ، اذ تحقق ما كان يصبو ونصبو اليه ، فالشباب او الروح الجديدة ، والعقلية الجديدة ، هو الذي يقود اليوم خطانا في سبيل الحياة الحرة ، واننا به لمؤمنون .

ويري صديقنا واخونا سامي الكيالي ان امورنا لا تستقيم الا اذا اعتمدنا على « الايمان بفلسفة القوة ، لتكتب لنا الحياة الحرة والسيادة المطلقة ـ علينا ان نصطنع مبدأ القوة في الحياه » .

هذه واحدة ، واخرى « اننا اليوم في أشد الحاجة الى نفسية ذلك البدوي المغامر الذي افتتح الدنيا بصدق عزيمته وقوة ايمانه ، والشباب مدعوون للكفاح بنفس تلك العزيمة وذلك الايمان ، ومدعوون لان يلعبوا نفس الدور الذي لعبه اجدادهم في الماضي .. »

وقد اصاب كل الاصابة ، فكما نؤمن بحقنا في الحياة الحرة الكريمة ، وكما نؤمن بانسانيتنا التي نستمد منها قوميتنا ، يجب ان نؤمن بالقوة لصيانة حقنا الطبيعي في الحياة . وبالتالي انسانيتنا . ولنا في ذلك « البدوي » الذي حمل رسالة العروبة الى اقاصي

الارض ، فاتحاً هادياً منشئاً ، باسطاً لواء العدل والعرفان والحضارة ، مثلنا الملهم الذي نأتمّ به ...

***

وبعد ، ففي الدراسات والبحوث والنظرات التي تألقت في هذا الكتاب ، إصالة في معالجة الموضوعات وانتفاضة ابية حرة لا تهزها الصدمات والعقبات ، وايمـــان راسخ بالقومية العربية ومزاياها الفريدات ، ورزانة في التعبير عن العثرات والاماني الجائعات ، والامال المزدهرات .

فيه فكرٌ يلمع ، وقلبٌ ينبض ، ويدٌ ترسم وتخطط ، وبراعة مطواع تفيض رشادا وسداداً ، فاذا الحرف عبهـــري ، واذا الصراع ـ صراعنا ـ عبقري .

وحسبك يا اخي من التهنئة والكتاب والثواب. انك اسهمت في يقظة الشباب ، وفي معركة التحرر الوثاب ، وحسبك ايضاً وحسبنا أن أمتنا العربية مزّقت الحجاب. وذلّلت الصعـاب . وها هي تجني ثمار الغلاب . وترد المناهل العذاب ، على مطيّات العزائم العيراب ، بين اهازيج الحيراب ، وزغاريد اللهـاب ..

وما احرانا بعد هذا ان نردّد مؤمنين ، مـع « ناصرنا » الامين : الله اكبر والعزة للعرب ..

نزيل حمص

نظير زيتون

الاهداء

هذه كلمات في السياسة القومية كتبت في مناسبات مختلفة أنشرها كما كتبت في التو والساعة لا لأنها تصور الاحداث التي مرت بالوطن العربي خلال صراعه الطويل مع الاستعمار فحسب بل لأنها تصور الكثير من الهواجس القومية، وترمز الى الكثير من الانتفاضات والثورات والانتصارات التي انتهت بنا الى خلق «الكيان العربي» المتحرر من كل نفوذ اجنبي .

فالى كل مَنْ عمل في سبيل سيادة الوطن العربي

والى الشهداء الابرار الذين بذلوا دماءهم سخية في سبيل عزته وكرامته .

اهدي هذه الصفحات ..

«سامي»

القومية العربية في انطلاقتها الكبرى

للرسام كيغام

في مصطرع الاحداث

.. كثيراً ما يتساءل رجل الفكر في هذه اللحظات العصبية التي يمر بها العالم العربي ـ كثيراً ما يتساءل هل يستطيع الاديب ان ينفصل عن واقعه ليتحدث في شئون الفكر ـ فيما يتصل بالأدب والاجتماع والفلسفة وبكل ما يمسّ الترف الفكري .

لا .. وهذا ما يقول به كل اديب حر يتفاعل مع واقعه . .

اذن ، فلتكن كلمتنا فيما يشغل البال ويضطرب له الفكر ..

فيما يدبره القراصنة الغزاة من مؤامرات دنيئة وسخة للقضاء على القومية العربية . .

اننا نقف اليوم وجهاً لوجه مع الاستعمار .. وكلما ازددنا قوة وتكتلاً ازدادت مؤامراته والاعيبه . .

لقد ظل الغرب الجشع المستعمر ـ ظرّ سنوات طويلة يسيطر

على مقدرات العرب ، يمتص دماءهم ويستغل خيراتهم ويسطو على كنوزهم . .

وقدهاله ان يستيقظ« **الانسان العربي** » ، وان يعمل افراده متكتلين في كل بقعة عربية لتطهير ارض العرب من رجس الاستعمار وطغيان اذناب المستعمرين . .

انها « **النفس العربية** » المنطلقة التي تريد ان تبني كيانها من جديد . .

تريد ان تستغل خيراتها وكنوزها بيد ابنائها ولمنفعتهم ورفع مستواهم الاجتماعي وكرامتهم الانسانية . .

تريد ان ينعم العالم بكل ما أفاضه الله على البشرية من فيض خيراته وبركاته .

ولكن المستعمرين لا تقر لهم عين الا اذا وأدوا الحريات ، وحكموا الشعوب ليجعلوها اداةً طيّعة لمآربهم ! .

ان المستعمرين ـ اخزاهم الله ـ لا يهمهم أعاشت البشرية في ظلال النعيم ام في أتون الجحيم ما دامت اهواؤهم هي المسيطرة ، ومصالحهم هي السائدة ، ورساميلهم هي المتزايدة ، وشركاتهم هي المصونة ! .

نعم ، ولتقم بعد ذلك الحروب ، ولتحرق المدن ، ولتزهق النفوس ، ولتقوض الحضارة ـ ان كل ذلك لا يهمهم ما دامت مصالح

الرأسماليين الجشعين وثروات واليهود القذرين في امان واطمئنان ..

لقد استطاعت « القومية العربية » ، في فترات غير طويلة، ان تقف على قدميها ، وان تسير بخطوات المارد منطلقة الى الامام . وهي تريد مخلصة، ان تعمل مع الامم الحرة في سبيل هناءة العالم كله.

ولكن المستعمرين لا يريدون ذلك . وقد حاولوا كثيراً ان يطفأوا هذا النور الوهاج ، وما زالوا يحاولون .. ولكنهم لن يستطيعوا باذن الله ..

لقد هالهم ان تنضم اجزاء الوطن العربي الى بعضها بعضاً ، وان تتكتل، وان تصمد للاعاصير ـ هالهم ان يفعل التجاوب العربي في ضم شمل الامة فعل السحر .. وكان عبيد الاستعمار يطمأنون اسيادهم ان هذه القوى العربيه كفقاقيع الصابون ؟

وما زال للغرب المستعمر في بعض اجزاء الوطن العربي عملاء يعملون لحساب اسيادهم، وبكل ما في حوزتهم من مال وسلاح ووسائل ارهاب لاخماد الجذوة الوطنية من شعاب القلوب .

ولقد استعملوا أفتك قوى الارهاب للقضاء على الروح الوطنية الثائرة فكانت المنافي والسجون ، وكان الموت مصير الكثيرين ممن رفعوا اصواتهم ضد الطغاة الذين باعوا أنفسهم لثعالبة الاستعمار .. وقد ظنوا ان السياسة البوليسية الغاشمة التي فجّرت النار والحديد على رؤوس الابرياء الاحرار في الاردن ولبنان والعراق ـ ظنوا ان هذه السياسة البوليسية الغاشمة هي التي سيطول حكمها الاسود

وتمكن للمستعمرين ان يحكموا الشرق العربي مئات السنين !.

وجاءت ثورة لبنان لتهز الاستعمار والفساد والطغيان من الجذور. وجاءت انطلاقة العراق وثورة شعبها الظمآن الى دماء الطغاة من جلاديه الحاكمين ـ جاءت هذه الثورات اكبر برهان على ان الروح العربية كل لا يتجزء . وان النفس العربية المؤمنة بقداسة الحرية لا تستطيع قط ان تركن الى الذل والخضوع، ولا ان تعيش في ديماميس العبوديات ! ولا سيما وقد عاش العربي طوال حياته حراً كريماً تأبى نفسه المتمردة الاستكانة والخنوع .

وان عشرة اشخاص باعوا أنفسهم لشياطين الاستعمار لا يستطيعون ان يوقفوا الركب العربي المتحرر عن السير والانطلاق الى غايته المثلى .

نعم ، عشرة اشخاص لا اكثر يريدون ان يقفوا ضد ارادة سبعين مليوناً من العرب قرروا ؟ بعد غفوتهم الطويلة ان يعيشوا في بلادهم سادة لا عبيداً . وان يحرروا وطنهم الكبير من كل سيطرة اجنبية.. وان يبنوا، كما بنت الامم الحرة، كيانهم المستقل ليساهموا في بناء الحضارة .

★ ★ ★

حين أوشكت ثورة الشعب في لبنان ان تعطي نهاية حتمية لحكم العملاء المأجورين .

وحين قامت انتفاضة العراق المباركة التي قضت على اذناب الاستعمار ـ على عدو الآله ونوري الشقي ـ وهما العميلان القذران اللذان فتحا أعمق ثغرة في وحدة الصف العربي ـ اقول : حين قامت ثورة الشعب العراقي متجسدة بضباطه الاحرار الأشاوس توطئة للوحدة الكبرى وانسياقاً مع التجاوب العربي الاصيل فقد المستعمرون صوابهم وطاش سهمهم وحاروا فيما يعملون، فما كان منهم الا ان اسرعوا بنجدة البقية الباقية من عملائهم العبيد فاحتل الامريكان لبنان الحبيب ـ جنة الله في ارضه ـ ، واحتل الانكليز الاردن ليدعموا الصهاينة، ويثبتوا دولة اسرائيل ـ ربيبتهم المسخ ـ واخذوا يهددون القومية العربية في الصميم ..

ولكن .. لا

وسبعون الف مرة لا . .

فالعرب اليوم متضامنون ، متحدون .. وهم في هذه اللحظات من تاريخهم، أقوى مما كانوا عليه بالأمس .. وسيكونون غداً اقوى بكثير مما هم عليه الآن .

وكلما حاول الاستعمار تمزيق وحدة العرب كلما ازدادوا تكتلاً والتئاماً ، وازدادوا قوة ومضاء . .

لقد رضع الجيل الجديد لبان « القومية العربية » صافية غير مرنقة بأوشاب المستعمرين .

جيلنا الجديد ـ بارك الله به ـ قوى متفجرة .

وهو في ايمانه بقوميته ، بعد ايمانه بالله ، اقوى من القنابل الهيدروجينية التي يهددنا بها الاستعمار . .

وقد صمم هذا الجيل ان يثب قدماً الى الامام دون ان تلين قناته ، ودون ان يستسلم او يخضع ..

والويل كل الويل لاولئك الذين يتنكرون لرغبات الجيل الجديد الذي يتمثل في كل خلجة من خلجات ضميره شظايا القومية العربية . .

ان مصير العملاء الذين ربطوا مصيرهم بعجلة الاستعمار ـ ان مصيرهم الموت المحتم .

وقد اعطت «الثورة العراقية» أبلغ درس لمن تسوّل له نفسه ان يعمل مع الاجنبي، وهي انذار بليغ لاولئك الذين لا يزالون يعملون مع المستعمرين ..

لقد كانت بالامس كارثة فلسطين .

وعرف كل فرد عربي من هم الخونة الذين جرّوا على البلاد العربية هذه الويلات والنكبات . فكان نصيبهم ان لفظتهم الامة العربية وازدرتهم واخذوا يلقون مصيرهم المحتوم الواحد اثر الآخر ..

وكان من وراء كارثة فلسطين ـ ثورة مصر المجيدة ـ ثورة ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢ التي قام بها جمال عبد الناصر وصحبه .

طردوا الملك الخليع الفاسد واعوانه وقضوا على جذور الخيانة

والرجعية والميوعة والفساد، وخطوا بمصر الحرة مائة سنة الى الامام.

ان البذور التحررية التي زرعها قائدنا البطل جمال عبدالناصر قد اثمرت ثمرها الطيب ومنحت « القومية العربية » هذه الحياة الحديدة التي اخذت تجمع شمل العرب وتدفعهم لخلق وحدتهم الكبرى .

ان الشرق العربي بكنوزه وخيراته هو لابناء العرب لا للغزاة المستعمرين .

هذه امور يجب ان يفهمها الغرب المستعمر الذي ما زال يعيش بعقلية القرن السابع عشر .

يتحدثون عن السلام وينفخون بنيران الحرب .

يتمشدقون بالديموقراطية وايديهم ملطخة بالدماء .

يعلنون الحفاظ على حرية الشعوب وهم الذين يفرضون العبوديات ويقوضون سيادة الشعوب .

يا لهم من كذبة فاجرين ؟

ان العرب اليوم من اليقظة والوعي بحيث لم تعد لتنطلي عليهم هذه الاكاذيب.

وكلما ازداد ضغط الاستعمار علينا كلما ازددنا قوة وايماناً بحقنا في الحياة .

ولن يستطيع العبيد والعملاء ان يوقفوا الركب العربي عن السير وقد انطلق المارد الجبار انطلاق الصواريخ.

لقد دل ساسة امريكا ، شهد الله ، على قصر نظرهم في عدم تفهّم « النفسية العربية» حين اصاخوا لنداء شمعون ،وهو في الرمق الاخير من حكمه ـ فأمدوه بالطائرات والدبابات والجنود وأفتك ادوات الحرب لتحميه من ثورة الشعب !

اي والله . لقد دلت امريكا في مغامراتها الرعناء هذه على انها تجهل « النفسية العربية » كل الجهل ، وان عملاءها الاقزام قد جرّوها الى مأزق جد خطير ـ الى مأزق كادت تنبثق عنه شرارة الحرب العالمية التي تحيل العالم الى براكين من نار !

وبعد ، فأيه بطولة هذه التي تريد ان تفرضها الدول المستعمرة على الشرق العربي حين تنزل في لبنان الطائرات والدبابات والجنود والاسلحة الجهنمية لتخمد ثورة شعب مناضل يحارب فساد طاغية من الطغاة وعميلاً فاجراً عمل بوقاحة متناهية على تقويض سيادة لبنان ودوس حريته وكرامته ! وما نقوله عن لبنان نقوله عن الاردن ..

ايه ايتها الحرية .

ما اكثر الجرائم التي ترتكب باسمك !

نعم،أية جريمة أبشع من هذه الجريمة التي يراد بها القضاء على حرية أمة والاطاحة باستقلالها باسم الدفاع عن حريتها واستقلالها!

لقد آن للدول المستعمرة ان تفيق هي ايضاً من غفوتها بعدان استيقظت الشعوب وهبّت في كل مكان تطالب بحقوقها وتحرص على

استقلالها وتصون كيانها وسيادتها من عبث العابثين .

استفاق الشرق . . وهبّت آسيا . . واستيقظت افريقيا ـ ان جميع الامم والشعوب تعمل اليوم متضامنة ضد احابيل المستعمرين لا تهدف الا الى الحفاظ على حريتها ورفع السيطرة عن حيرات اراضيها وكنوزها ، ودعم السلام ضد الغزاة البرابرة الذين يعملون على تقويض الحضارة بإثارتهم العداء بين الشعوب لخلق حرب عالمية جديدة يعمل لها الرأسماليون الحشعون واليهود القذرون !

ومع يقظة الشرق استيقظت الامة العربية .

ورسالتها في الحياة الدفاع عن اراضيها المقدسة ضد كل باغ اثيم ، والتعاون مع الشعوب المحبة للسلام لتصون الحضارة من هذه الحرب التي يريدها المستعمرون .

ان الشعب العربي ، كما قال قائدنا البطـــل ، قد صمم على الكفاح ، حتى يحقق لنفسه الاستقلال الكامل ـ الاستقلال الحقيقي لا الاستقلال المزيف ، وسنضحي بكل قطرة من دمائنا في سبيل تثبيت دعائم شعلة الحرية والسلام .

سطور سريعة عن مراحل القضية العربية

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
فيمَ التعلل بالآمال تخدعكم وانتم بين راحات القنا سلب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم تُستغضبون فلا يبدو لكم غضب
فشمروا وانهضوا للامر وابتدروا من دهركم فرحة ضنّت بها الحقب
ألستم من سطوا في الارض وافتتحوا شرقاً وغرباً وعزّوا اينما ذهبوا
ومَنْ بنوا لصروح العز اعمدة تهوى الصواعق عنها وهي تنقلب
اقداركم في عيون الترك نازلة وحقكم بين أيدي الترك مغتصب

ابراهيم اليازجي

* * *

« العرب : اقدم الامم اتباعاً لاصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية .

« العرب : اعرق الامم في اصول الشورى في الشئون الاجتماعية ..

« العرب : اهدي الأمم لاصول المعيشة الاشتراكية .

« العرب : من احرص الامم على احترام العهود عزة ، واحترام الذمة انسانية . واحترام الجوار شهامـــة ، وبذل المعروف مروءة »

عبد الرحمن الكواكبي

من اين يبدأ تاريخ القضية العربية ؟
وما هي عوامل ظهورها ومبعث تكوينها ؟
وما هي المراحل التي مرت بها ؟ .

اسئلة يهجس بها ضمير الشباب العربي بعد ان وصلت « القضية العربية » الى مرحلة التكوين وابثاق فجر « القومية العربية » التي اخذت تجمع شمل هذه الامة العظيمة بعد ان ظلت قروناً تتخبط في الدياجير والظلمات .

فالواقع ، ان « القضية العربية » بمفهومها الحديث بدأت احيلة وهواجس في ضمير فئة من رجالات العرب في منتصف القرن التاسع عشر حيث كانت البلاد العربية جزءاً متمماً الامبراطورية العثمانية المترامية الاطراف .

وقد كانت هذه الامبراطورية التي تضم عناصر مختلفة في دور التفكك والتفسخ والانهيار .

وكانت اطماع الدول الاوربية قد بلغت الذروة في القضاء على هذه الامبراطورية واقتسام اجزائها والتهام ثرواتها وخيراتها .

وكانت الدسائس الدولية تلعب دورها بقوة ونشاط ملموسين للاجهاز على « الرجل المريض » واقتسام التركة .

في تلك الفترة التي تبدأ من منتصف القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين اخذ غير واحد من مفكري العرب في اكثر الاقطار العربية ، يتداولون قضية العرب وموقفهم من الامبراطورية العثمانية .

هل من مصلحتهم ان ينفصلوا عنها ام ان يكونوا مرتبطين بها على اساس « اللامركزية » .

كانت « الاحلام والهواجس » تتصادم « مع الواقع والحقيقة » .

اي ان هواجس الماضي الذهبي وما كان للعرب من أثر في السيادة والحكم ، وفي الحضارة والعلم ، وما هم عليه من الميوعة والتفكك والتبعية لغيرهم — كانت هذه الهوة العميقة بين الماضي والحاضر تثير المفكرين ليلعبوا دورهم الخطير في البعث القومي .

وقد ذهب مفكرو العرب ورجالات السياسة مذاهب مختلفة في التحرر من « العثمانية » ، والانطلاق في ميدان « العروبة » الفسيح ..

منهم من اراد ان تظل البلاد العربية جزءاً متمماً للامبراطورية العثمانية ، على ان يكون للعرب نفس الميزات والحقوق التي يتمتع بها الترك مثلاً ...

ومنهم من نادى « باللامركزية » كتوطئة للانفصال عن

الكيان العثماني وتوطيد الحكم الذاتي .. ومنهم من اراد الاستقلال في ظل « الحماية الاجنبية » - وهم فئة من اخواننا اللبنانيين - ، ومنهم من اراد الانفصال عن الكيان العثماني انفصالا مطلقاً ، وان تستقل البلاد العربية استقلالا ناجزاً على ان يكون هذا الاستقلال نواة لخلق « الامبراطورية العربية » توطئة لاعادة المجد العربي القديم الذي عرفه العالم أيام الامويين والعباسيين في ابّان ازدهار حضارتهم وحين امتدت فتوحاتهم وبسطوا سلطانهم في الشرق وفي الغرب .

وبدأ شباب العرب يعقدون الاجتماعات السرية والعلنية في مختلف العواصم والمدن الكبرى ... في فروق والقاهرة وباريس ، في دمشق وبيروت وبغداد . . وبدأت تتألف الجمعيات السرية هنا وهناك - وأخذت الصحافة تعبّر عن ارائها ، ولا سيما بعد اعلان الدستور العثماني ، وتفصح عن شعور العرب القومي واتجاهاتهم نحو الحرية والسيادة .. وقد كان لهذه اليقظة ولهذه الاتجاهات أثرها في الدوائر الرسمية التي اعتبرت هذه الظاهرة القومية تمرداً على كيان الدولة ، ولا سيما ، والعرب هم اكثر العناصر المنضوية تحت اللواء العثماني . . فبدأت المقاومة ، وبدأت مطاردة الاحرار المفكرين والتنكيل بهم ، واضطر اكثرهم الى الهجرة ليكونوا بمأمن من البطش التركي ، وليتمكنوا من متابعة رسالتهم القومية في بعث « الامبراطورية العربية » من جديد بعد ان ظل العرب ستة قرون كاملة تحت عبودية الحكم التركي .

لقد كانت هذه الظواهر القومية هواجس في نفوس افراد

معدودين دون ان تضمهم جمعية او يجمع شملهـــم حزب منظم ، فالاوضاع السياسية آنـــذاك كانت تحول دون تأسيس الجمعيات والاحزاب .. ولكن هذه البواعث القومية التي ظلت هواجس في ضمير المفكرين قد أخذت تنبثق صيحـات على صفحات الجرائد ، وقدّر لها ان ترى النور ، وان تصل الى سمع مختلف الطبقات في نطاق محدود

والفكرة ، حين تسطر على الورق ، كالبذرة حين ترمى في الأرض ، لا بد لها من ان تنمو وتزدهر وتعطي الثمر . . واخذت هذه الآراء تتغلغـل في الأخيلة والضمائر — تهز القلوب وتذكي النفوس وتثير المشاعر .

وتنادى شباب العرب الى العمل ...

أسسّوا نوادي تضم شملهم وتفصح عن خوالجهم . . وأخذوا يعقدون الاجتماعات ، في السر والجهر ، للتداول في الشئون العربية. ولعل اول اجتماع قومي هدف الى البحث في « القضية العربية » كان في استانبول مقر السلطنة العثمانية — قام به فريق من طلاب الجامعات ورجالات الفكر والضباط حين رأوا غير واحد من غلاة القومية التركية في طليعتهم يوسف اقشورا واحمد اغاييف يكتبون المقالات النارية في الصحف والمجلات يدعون فيها رجال الحكم ان يعمدوا الى « تتريك العرب » ووأد « القومية العربية » اذا استحال صهرها في بوتقة « القومية الطورانية » ..

فمن اقوال كاتب من غلاة الطورانيين قوله :

«ان الاتراك لهم الحق في ان يحكموا العرب ، تماماً كما يحكم الفرنسيون أهل الجزائر ، وكما يحكم الانكليز الهند» .

وكتب الاديب التركي الشهير جلال نوري كتاباً عنوانه : « تاريخ المستقبل » قال فيه :

« ان المصلحة القومية تقضي على حكومة استانة باكراه السوريين على ترك بلادهم . ان بلاد العرب ، ولا سيما اليمن والعراق، يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب ان تكون لغة الدين . ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا ، ان نحوّل جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية ، لان النشء العربي الحديث صار اليوم يشعر بعصبية جنسية، وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب ان نحتاط لها من الآن ... »

وكتب الصحفي احمد شريف في جريدة « طنين » يقول :

« لا يزال العرب يلهجون بلغتهم ، وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً ، كأنهم ليسوا تحت حكم الترك . فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال ان ينسيهم لغتهم ويجبرهم على تعلم اللغة التركية، لغة الأمة التي تحكمهم ، فاذا اهمل هذا الواجب كان كمن يسعى الى حتفه بظلفه، لأن العرب ان لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فانهم سيعملون عاجلاً على استرجاع مجدهم الضائع ، وتشييد دولة عربية جديدة على انقاض دولة ...» (كتاب « مؤتمر الشهداء »: ص ٢٩ و ٤١)

وهنا ، في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الصلات بين العرب

والترك ، أي عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وقبيل الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ـ تنبه رجالات العرب الى هذه اللوثة تصدر من كتّاب الاتراك المغرقين في قوميتهم الطورانية .. فكان ذلك من اكبر البواعث للتمسك بروح العروبة والذود عن حياض « القومية العربية » .

وقد كان لهذا الاتجاه التركي صداه الأليم في نفوس ضباط العرب الذين كانوا يشغلون المراكز الرفيعة في الجيش، فلم يكد البطل المجاهد عزيز علي المصري يؤسس «حزب العهد» ـ وكان تأسيسه بصورة سرية ـ حتى انضم اليه الكثير من ضباط العرب ، وكانت اهداف هذا الحزب ، او هذه الجمعية السرية مجابهة النزعات التركية وصون حقوق العرب ، كما تألفت جمعيـــة سرية ثانية بأسم جمعية « العربية الفتاة » ضمّت الى حظيرتها نخبة من احرار العرب غير العسكريين من الساسة والمفكرين لتقف بالمرصاد لكافة المؤامرات التي يحيكها رجال جمعية « تركيا الفتاة » .

وأسس طلاب العرب في جامعة استانبول جمعية تضمهم لبحث الشئون العربية عرفت بأسم « المنتدى الادبي » ، وكان لهذا المنتدى اثره البليغ في التوجيه العربي لأنه ضم الى جوانحه عنصر الشباب المعتز بعروبته وقوميته ، كما كان ملتقى رجالات السياسة والضباط الاحرار .

وكان اتجاه الجميع يدور حول صون حقوق العرب المهضومة، وتعزيز « القومية العربية » ، واحياء التراث العربي القديم .

من هنا ، بدأ ، «الوعي العربي» يأخذ طريقه الى القلوب والضمائر بعد ان مهّد رجالات العرب في كتبهم ورسائلهم ، في مقالاتهم وقصائدهم الطريق لانبثاق الفجر العربي ، ولنذكر في طليعتهم الثائر الحلبي عبد الرحمن الكواكبي الذي وضع البذور الأولى لنقل سلطان الخلافة من الترك الى العرب .

وكما تألفت تلك الجمعيات في فروق، تألفت في بيروت «الجمعية الاصلاحية» وتألف في القاهرة «حزب اللامركزية» ، وعقد في باريس في ١٨ حزيران ١٩١٣ «المؤتمر العربي الأول» وكان غرض جميع هذه الاحزاب والجمعيات والمؤتمرات بحث موقف الترك من العرب .

وتنبه الاتراك لهذه الانتفاضة الكبرى يثيرها احرار العرب، وحسبوا لها اكبر حساب، وحاولوا ان يطفئوا النار قبل اشتعالها، فأنتدبوا مدحت شكري بك السكرتير العام لحزب «الاتحاد والترقي» — الحزب الحاكم آنئذ ، انتدبوه للسفر الى باريس والاتصال برجال المؤتمر العربي الأول والاتفاق معهم على المناهج والاصلاحات التي يريدونها لادخالها على نظام الحكم في الدولة وتعيين فريق منهم في مناصب عالية للاشراف على تنفيذ هذه الاصلاحات .

ومن المؤسف ان نقول ان البعض أخذ بهذه الوعود حيث جرى تعيينهم في المناصب العالية فقبلوها كلونٍ من الوان التجربة وجسّ النبض للكشف عن خبايا نفوسهم ..

أكان الاتراك صادقين؟ أم ان خطتهم من هذه الوعود كانت الخداع والتخدير .. اذ لم يكن غرضهم الاصلاح ومنح البلاد العربية حقوقها بل كانوا يريدون القضاء على الفكرة العربية قبل ان تشتعل نارها .

ولم تخف هذه الاخاديع لتخفي على احرار العرب .. وتساءل الكثيرون !

هل ظفر العرب بحقوقهم في الدولة ؟

هل تراجع الطورانيون عن افكارهم المسمومة ؟

هل حلّت المشكلة من الاساس ؟

كلا .. فلم تكد تعلن الحرب العالمية الأولى حتى عاد غلاة الاتراك الى عنجهيتهم .. وأخذوا يكيدون للعرب لا بالمقالات والخطب بل بأفتك ضروب الموت .. وبعثوا بطاغيتهم السفاح احمد جمال باشا ليفرض طغيانه . . فنصب المشانق ، وصلب احرار العرب ، ولم يهمل حتى اولئك الذين رفعهم اسياده الى ارقى مناصب الدولة . . ثم كانت خطتهم الجهنمية القضاء على « القومية العربية » بنقل الكثير من الأسر العربية الى الاناضول بغية تتريكها .. مع فتح باب الهجرة الى الاتراك ليستوطنوا سورية والعراق ، وبذلك يذوب العنصر العربي وتصبح البلاد العربية تركية الميول والاتجاه .. ثم يقضي على الفكرة العربية ، كما خيّل اليهم — قضاء مبرماً ...

الا ّ ان هذه الخطط التي بنوا على أسسها الواهية كبريات

آمالهم قد انهارت ..

وكانت ثورة الحجاز على الترك .

وكان لهذه الثورة صداها العميق في الاوساط العالمية ، ولا سيما ، ومن اهدافها استقلال بلاد العرب، وتكوين الامبراطورية العربية ...

وأثارت الفكرة ضمائر الشباب فأستجاب لها الكثيرون من ضباط العرب الذين كانوا يخدمون في الجيش العثماني ، واخذوا طريقهم الى الحجاز .

كما استجاب لهذه الثورة رجالات العرب اجمعين ..

وكانت انكلترا قد وعدت الملك حسين بمنح الاستقلال للبلاد العربية فيما اذا فاز الحلفاء في الحرب .

ومرّت سنوات الحرب والعرب يأمـــلون النصر للحلفاء ليفوزوا بأمنيتهم الكبرى ...

وفاز الحلفاء ...

وانتصرت انكلترا على المانيا وعلى تركيا.. وانسحب الاتراك من البلاد العربية .. واعترف المارشال اللنبي القائد العام لقوات الحلفاء بما كان لمساعدة القوات العربية من تأثير فعّال في ترجيح كفة النصر ..

وشعر العرب ، في كل قطر ، ان هذا اليوم ، هو يوم ولادة

« الامبراطورية العربية »، وأخذ الزعماء يعدّون العدة لممارسة استقلالهم، وبدأوا بمطالبة انكلترا بتنفيذ وعودها التي قطعتها الملك حسين.

ونفّذت انكلترا الشريفة وعودها الكاذبة!

وكشفت عن نواياها بوجهها الكالح..

نعم، ان انكلترا المراوغه لم تستطع ان تتنكّر لسجاياها..

فما كاد يجـــدّ الجدّ، وتحين الساعة لتحقيق الوعدّ، حتى اذاعت اتفاقاتها السرية بكثير من الصفاقة — اذاعت الاتفاقات التي عقدتها في الخفاء مـــع حلفائها الطبيين — مع اليهود والافرنسيين!. فكما وعدت العرب بتحقيق امنياتهم اذا انتصرت، وعدت اليهود بتمكينهم من انشآء دولة لهم في فلسطين.

كما اتفقت مع فرنسا، في نفس الوقت، لاقتسام البلاد العربية المنسلخة عن تركيا..

وبرّت بوعودها مع الجميع الا مع العرب!.

جعلت من العراق مستعمرة لهـا، ومنحت فرانسا «سورية ولبنان»، وأهدت فلسطين الى اليهود، وكان نصيب العرب من وعودها الملك حسين — قبض الريح!

وهنا، هبّ العرب وثاروا في كل قطر من اقطارهم، وعرفوا قيمة الوعود التي يقطعها الانكليز لحلفائهم.. وعرفوا اكثر ان

النزعة الاستعمارية في دم الانكليزي هي الاساس ، فلا يهمه ان ينكث بوعوده ما دامت امنياته ومطامعه في استغلال خيرات الشعوب وجعلها مطية لاهوائه قد تحققت !

ومرة ثانية انهارت الاحلام في تحقيق فكرة « الوحدة العربية » ،وعاش احرار العرب في شتى اقطارهم — عاشوا سنوات طويلة في نضال مرير ..

قامت الثورات الدامية في سورية والعراق ، وفي فلسطين ومصر .. وفي كل بقعة عربية ضد الغاصبين ..

وهدفت هذه الثورات الى امرين خطيرين :

١ — . الى مكافحة المستعمرين في البلاد التي احتلّوها .

٢ . في إحكام الصلة بين الأقطار العربية لتوحيد العمل في سبيل الوحدة الكبرى .

واصطبغت الأرض العربية بالدم العربي نتيجة الكفاح الدامي والنضال المرير غير المنقطع ..

وشعر الانكليز ،وشعر الافرنسيون ان «القومية العربية» قد استيقظت،فمدوا بكل وسائل الاغراء والتدمير الى اخمادها. ولكنها كانت تزداد نوراً ووهجاً ..

وكان التجاوب العربي يلعب دوره في توحيد العمل لبلوغ الغاية الكبرى — فلا يكاد المستعمرون يخمدون ثورة في بقعة من

بقاع العرب ، حتى تندلع ثورة أشد ضراماً ، وأشد لهباً ..

والى جانب هذه الثورات كان « الوعي العربي » يزداد نمواً ونضوجاً .. فما تكاد محاولة من محاولات الاستعمار تعرض على قطر من الاقطار بواسطة الاصنام الذين باعوا انفسهم للشيطان ـ أي لاسيادهم المستعمرين ـ حتى تقابل بالرفض والاستنكار ، وينهار البناء من الأساس .

وناضلت الشعوب العربية على جبهتين : الجبهة الداخلية ، والجبهة الخارجية .. وكان نضالها مع « الاصنام » ـ صنّاع المستعمرين ـ لا يقل في مضائه عن نضالها مع اسيادهم الطغاة المستعمرين ..

وتوالت الثورات الى ان استطاعت الكثير من الاقطار العربية التي كانت تحت سلطان الاجنبي ـ ان تتحرر وان تخلق كيانها المستقبل .

تحررت مصر وسورية ولبنان والعراق ـ لولا الحلف الاسود[1] ـ والاردن لولا ردّة مليكه الشاب واعوانه ـ وقل مثل هذا عن المملكة العربية السعودية التي لم تذق في الاصل طعم السيطرة الاجنبية ، وعن اليمن لولا هذه المحميات التي اخذت تتحفز

(١) كتب هذا المقال قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قام بها ضباط الجيش العراقي الباسل وعلى رأسهم البطل عبد الكريم القاسم ! الذي انقذ القطر الشقيق من معاهدات الاستعمار وصان سيادة العراق .

للوثوب .. كما اتيح لتونس ومراكش وليبيا ان تتحرر بعض التحرر ، ولن يمضي وقت طويل الا ويتحرر المغرب العربي كله بعد ان تبلغ ثورة الجزائر الدامية غاياتها الكبرى واهدافها التحررية بطرد الافرنسيين من اراضيهم التي رويت بالدماء ..

ومن يرقب الاحداث خلال التطورات الاخيرة التي ظهرت على مسرح البلاد العربية منذ بداية القرن العشرين الى يومنا هذا يرى ثمة نتائج خطيرة مهدت « للوحدة الكبرى » التي لن تغرب شمس هذا القرن الا وتكون قد تمت وتحققت فكرة « الامبراطورية العربية » بمدلولها العميق ..

اقول هذا ، وانا مؤمن كل الايمان بأن « الامبراطورية العربية » سوف تتحقق في يوم غير بعيد .. سواء عن طريق الوحدة او الاتحاد .. وليس علينا ان نتعجل الزمن ، فهو يسير سيره الوئيد الى جانب العرب رضي المستعمرون او لم يرضوا ..

ان « القومية العربية » اليوم في دور التفتح .. وهي واقفة بالمرصاد لكل من يعمل على تهديم بنيانها ..

ولن تكون البلاد العربية بعد الآن — لن تكون بكنوزها وخيراتها مرتعاً للمستعمرين الذين استمرأوا طعمها عشرات السنين ومئاتها ، فبشموا ، ولم يشبعوا وما زالوا يطمعون .. ولن يضير العرب ان بعض افراد قلائل شذوا عن القطيع ، وارتضوا ان

يكونوا تبعاً للأجنبي يمهدون له سبيل السيطرة ، فقد حكم التاريخ على هؤلاء الضالين بالخزى والعار والوبال ، والكلمة دائماً للشعوب وللرؤساء الذين يتجاوبون تجاوباً عميقاً مع شعوبهم المناضلة المكافحة في سبيل السيادة والحرية .

صديقة العرب !!

***

... في اوائل الحرب العالمية الأولى سرت في البلاد العربية، وكانت لا تزال تحت السيطرة العثمانية ـ سرت فكرة التحرر وانشاء « الامبراطورية العربية الكبرى » .

وكان مبعث هذه الفكرة يقظة العرب بعد رقادهم الطويل من جهة ، ونزعة « العنصرية التركية » من جهة ثانية ـ تلك النزعة الرعناء التي دعا اليها علاة الطورانيين الذين كانوا قد صمموا على « تتريك العرب » فيما لو خرجوا من الحرب ظافرين !.

واهابت فكرة العنصرية هذه ابناء العرب في جميع بلدانهم ان يجمعوا صفوفهم . وان ينادوا بالانفصال عن الكيان العثماني، وان يعملوا على تحقيق حلم « الامبراطورية العربية »، ولا سيما ، بعد ان سار الاتراك في سياستهم الخرقاء التي تحمل الكره والحقد

والبغضاء لكل ما هو عربي ! .

وكان ويلسون قد نادى ، في تلك الفترة . بمبدأ « تحرير الشعوب » فآمن العرب بمبدئه ايماناً صادقاً ..

ومَنْ احق من العرب بالتحرر وماضيهم الذهبي مـــليء بالامجاد والمكرمات .. وهم الذين اهدوا العالم حضارة « انسانية الروح » لا تقلّ في جمال مُثلها عن اعظم الحضارات..

وقد اعتقدوا انهذه الحرب هي انطلاقة التحرر من العبودية التي ظلّت قروناً طويلة تسيطر على البلاد العربية .. وزاد في هذا الاعتقاد ان كثيراً من الأمم الصغيرة قد آمنت بوعود ويلسون. وهذا الذي حفزها ان تجري وراء الحلفاء تؤيدهم وتؤازرهم وتتمنى لهم النصر القريب .

جاءت صيحة ويلسون هذه ، في الفترة التي اخـذ الاتراك يمعنون اماناً مزرياً بمناهضة كل فكرة عربيـة ، ولم يكتفوا بهذا بل قاموا بتشريد العائلات العربية الى مجاهل الاناضول بعد ان صلبوا احرار البلاد . فكان ذلك مما اثار النفوس ، وهـذا الذي دعا الحسين بن علي ان يطلق من بطـاح مكة الرصاصة التي كانت بدء « الثورة العربية » .

وهنا اتجه العرب بقلوبهـم الى المليك الهاشمي يدعون له ، ولحلفائه بالنصر !.

وكانت ثورة العرب ضد الترك ثورة ذات دلالات عميقة ..

مِنْ ابناء العرب مَنْ حارب بأصغريه : قلبه ولسانه .
ومنهم من بذل دمه وحياته .

وبعضهم من كان على صلة وثقى بلورنس الذي اطلقت عليه الدعاوة الانكليزية لقب « ملك العرب غير المتوج » ـ هذا الرجل الذي كان اخلاصه للعرب مشوباً بالريبة ! .

اقول إن العرب اتجهوا بقلوبهم الى المليك الهاشمي وحلفائه، وكانوا في البلاد العثمانية أشبه بالطابور الخامس على الاتراك بالرغم من اشتراك ابنائهم كعثمانيين في المعارك التي خاضتها تركيا ضد الحلفاء ـ كل ذلك في سبيل تلك الوعود التي وعدت بها انكلترا العرب بتحقيق فكرة «الامبراطورية العربية الكبرى» فكان لهذا الوعد السحري ـ وهم تحت كلكل عبودية اجيال ـ اثره في النفوس .

صدّق العرب ، اي صدقت اكثريتهم هذه الوعود . . وهز البعض رؤوسهم غير مصدقين ! ..

كانت البلاد العربية تغوص في جونٍ من اليأس والأمل ..

وكان المتفائلون بتحقيق حلم الامبراطورية العربية اكثر عدداً من المتشائمين .. فاندفعوا افراداً وجماعات، كتلاً وهيئات، ملوكاً ورؤساء بتأييد انكلترا . . نعم ، لقد اعتمدت البلاد العربية على «صديقة العرب» للوصول الى امنيتهم الكبرى وتحقيق

الحلم الذهبي ـ اعتمدوا على « الصديقة الوفية » التي لا تعرف قطّ الختل والغدر ، ولا المراوغة والبهتان ! ..

وما كادت تضع الحرب اوزارها وينتصر الحلفاء حتى يجنّ العرب فرحاً ببلوغ امنيتهم ..

ولكن لا تكاد تمر فترات حتى يصدمهم الواقع ..

تبخّرت الاحلام وجاءت الحقائق المرة تواجهنا بخفاياها المبطنة .. اي ظهرت « الالاعيب السياسية » بوجهها الكالح الاغبر !.

ظهر واضحاً ان خططاً دبرّت في الخفاء لاقتسام البلاد العربية وامتصاص خيراتها ونهب كنوزها ..

وهناء اخذت سورة الفرح تهدأ وتخمد ..وخاب أمل العرب بصديقة العرب عدا بعض « محترفي السياسة» الذين ظلوا مؤمنين بوعود « الصديقة الوفية » التي لا يرقى الشك الى اخلاصها ونواياها ! .

وكانت مصر ـ القطر العربي الوحيد ـ الذي لم تنطل عليه هذه الاخاديع .

ومرّت الايام سراعاً ..

واذا كل يوم حادث جديد يؤكد ان صداقة الذئب للحَمَل ـ هذه الصداقة التي آمن بها العرب ـ لم تكن الا خرافة من

الخرافات ! ..

فمن فرض انتدابات ..

الى تقطيع اجزاء البلاد العربية وربطها بالمعاهدات .

الى حكم البلاد بالحديد والناروفرض الغرامات والاتاوات.

وكان بطل الثورة العربية اول هـذه الضحايا ، فبعد ان اعترفت « صديقة العرب» «بالوطن القومي اليهودي في فلسطين » نفت المليك الهاشمي الى قبرص ..

واخذت تنفح البلاد العربية كل يوم بمأثرة من مآثرها الغر ، بهذه الخدع والالاعيب التي ان انطلت على الأمم البدائية فلا يمكن ان تنطلي على عقول امة استطاع ابناؤها ان يفرضوا، في فترة قصيرة من عمر الزمن ، سيادتهم على الدنيا . . وليسوا اليوم اقلّ عزمة ، واقلّ تضحية ، واقل اخلاصاً لقومهـــم واوطانهم مما كان عليه اباؤهم واجدادهم بالامس ..

ومرّت البلاد العربية بجهاد طويل الى ان نالت ، بما بذلته من تضحية . وأهرقته من دم ـ بعض ما تبتغيه .

وجاءت الحرب العالميـة الثانية ـ ١٩٣٩ ـ ، وامتدّت يد « صديقة العرب » الى زعمـــاء العرب تطلب معونتهم وتغريهم بالوعود ..

ونسي الزعماء ـ واكثرهم من الساسة المحترفين ومن الوصوليين الجشعين ـ نسوا أو تناسوا ما مرّ بهم ، فلم يبخلوا عليها بما طلبته.

والعرب اصفياء القلوب لا يعرفون الختل والغدر ، فاذا وعدوا وفوا ، واذا صادقوا أخلصوا بصداقتهم . وليتهم تجردوا عن بعض هذه المزايا الأصيلة في دمهم وواجهوا الغدر بالغدر ، واللؤم باللؤم ، والحقد بالحقد ..

فنحن في عصر مادي جشع . وقد انقضى ، ويا للأسف ، عصر القيم الروحية .

نعم ، نحن في عصر تقوم مفاهيمه على الكذب والغدر والخداع والمداورة والتدليس ..

فما احوج العرب ان يفهموا هذه اللغة التي يغرف المستعمرون من ينبوعها المكر ..

وجاءت الحرب العالمية الثانية . . ووقف العرب الى جانب « صديقة العرب » ! .

واستغلت الصديقة العزيزة سذاجة العرب وصفاء قلوبهم ونقاء ضمائرهم فكان لها من بلادهم ومن ابنائهم ومن خيراتهم ما تريد .. تغرف من كل ذلك بالكثير الكثير . . وما زالت الى ان تمّ لها النصر ..

انتصرت على المحور ، وقضت على النازية في شخص هتلر ، وعلى الفاشيستية في شخص موسوليني . . وسحقت المبادىء الديموقراطية « ديكتاتورية المحور » الغاشمة ..

وبدأ العرب ، في هذه الفترة ، يطالبون « صديقة العرب » بتحقيق وعودها فكانت في صمم عن سماع هذه المطاليب ..

انها مأخوذة بنشوة النصر ..

لقد نسيت وعودها ومواثيقها وايمانها ـ نسيت ما تعهدت به للعرب ، وتمسكت بوعد قطعه بلفور لويزمن ..

انها تريد ان تقدّم مكافأة ثانية للعرب .

ما هذه المكافأة ؟

دولة اسرائيل ..

لقد باعت صداقتها التقليدية للعرب بتحطيم أمل العرب .

وها هي ذي ، بعد ان خلقت هذه الدولة المسخ لتكون نقطة ارتكاز لمطامعها تريد ان ينسى العرب هذه الجريمة النكراء . وتلك المخازي السوداء التي جرّعتهم اياها عقب الحربين العالميتين .. وان يكونوا الى جانبها في الحرب العالمية الثالثة التي ينفخ في نارها ربائبة الاستعمار . . اي ان يعرّضوا بلادهم للدمار .. وان يكونوا وقود النار ، ومرتعاً خصباً لمطامع الرأسماليين واهواء الصهاينة الأشرار ..

ووقفت مصر تحذر العرب من « صديقة العرب » . . ومن النزعة الاستعمارية التي يراد من ورائها السيطرة من جديد على الشرق العربي بحجة الدفاع عن كنوزه وخيراته ..

ولم تنطل هذه الخدعة الجديدة ـ خدعة الدفاع المشترك ، على زعماء العرب كما انطلت اخاديعهم بالأمس ..

فالحروب التي خاضوها في سبيل الحرية ، وتحرير الشعوب من العبودية ، وإشاعة المباديء الديموقراطية . وتحرير العالم من العوز والفقر والجهل والطغيان الديكتاتوري ـ ان الحربين المنصرمتين لم تكونا الا في سبيل المطامع والسيطرة واذلال الشعوب ولا شيء دون ذلك ..

وها هم اليوم يريدون ان يحاربوا باسم السلام . . وفي سبيل السلام الكاذب يريدون ان يربطوا الشعوب العربية بعجلة آلة الحرب ..

فيا لحماقتهم التي تصوّر لهم الشعوب اليقظة امماً بدائية بلهاء..

لقد خدعوا العرب مرتين .. ويحاولون ان يخدعوهم مرة ثالثة في هذه الحرب التي يريدون إثارتها لتوطيد سيطرتهم ..

ولم يحالفهم التوفيق هذه المرة ..

فقد ثارت الشعوب العربية على حكامها تحذرهم من الشرك الجديد ـ من تصديق هذه الاكاذيب المعسولة التي يراد من ورائها تطويق البلاد العربية بقيود جديدة من العبودية .

***

وبعد فما احوج ساستنا ورجالاتنا « الطيبي القلوب » ان

يكونوا اكثر حذراً ، واكثر تشاؤماً مما يلوّح به الاصدقاء الالداء ! ،

لقد خسر العرب الجولة الأولى في حرب فلسطين حين قبلوا الهدنة مع الصهاينة . .

واخشى ، اذا كثرت وجهات النظر ، في هذا البلاء الداهم الذي تواجهه البلاد العربية ـ اخشى اذا لم يتفق العرب على رأي موحد ان نخسر ، لا سمح الله ، الجولة الثانية في هذا الصراع الذي بدأ يشتد بين الدول العربية ودول الاستعمار . .

ويا ويل العرب من المصير المظلم الذي ينتظرهم اذا تفرق شملهم ، وتشعبّت اراؤهم ، وتبددت كلمتهم ، وتصدعت صفوفهم ، ولم يتعظوا بالماضي القريب ، ويحسبوا للمستقبل الف حساب !!

سطور سريعة عن :

مراحل القضية السورية

من عهد فيصل الاول الى عهد شكري القوتلي

١٩٢٠ ـ ١٩٤٥

ميّز الله الشعب السوري بالذكاء والأنفة ، فبذكائه استطاع ان يهضم اصفى الحضارات ، وبأنفته حافظ على خصائصه العربية النبيلة ـ تلك الخصائص التي تعتبر الحرية والسيادة بعض لوازمها. وبالرغم مما قاسته هذه الامة الفتية من طغيان الأمم الفاتحة ، ظلّت ، عبر القرون ، ذات حيوية عجيبة، لا تلين قناتها لمستبد، ولا تخضع لمسترّق ، هدفها الحياة الحرة والسيادة المطلقة .

وتاريخ نضالها الحديث ، وما قامت به من كفاح ، ومابذلته من جهد ، وما هرقته من دم ، لعل كل ذلك يؤكد للذين لا

يزالون يفهمون الامور على غير حقيقتها وبأفهام الأمم البدائية ان الشعب السوري الوديع الأبي الذي خصه الله بالكثير من المزايا ليس من الشعوب التي تعيش في ظل العبوديات ، وانه لا يطلب في زحمة هذه المطامع الكبرى الا ان يعيش في ارضه حراً يتمتع بالسيادة التي تتمتع بها اكثر امم الأرض .

وقد حاول جناة الحرية اكثر من مرة ان يفتوا من عضد هذه الأمة بالوعود المعسولة تارة ، وبالحديد تارة أخرى ، وبالنار مرات كثيرة فلم يفلحوا ولن يفلحوا .

ومراحل القضية السورية ، خلال ربع قرن كامل ، من عهد المغفور له فيصل الأول الى عهد شكري القوتلي تنبثق احداثها بالكفاح والضحايا والثورات والدم في سبيل حرية هذا الوطن الصغير بأرضه ، الكبير بامنياته وهواجسه واغراضه .

***

كان العرب قبل الحرب الكبرى الماضية يحلمون بوحدتهم الكبرى ، وقد عملوا لهذه الوحدة منذ اعلان الدستور العثماني سنة ٩٠٨ ، وكان الصراع قوياً بين الترك والعرب في سبيل العنصرية ، فقد اصطدم مبدأ القومية التركية الذي نشره رجال تركيا الفتاة بعد اعلان الدستور العثماني بمبدأ القومية العربية والمطالبة بنظام خاص لبلاد العرب الخاضعة للتاج العثماني على الرغم مما كان للعرب من المساواة العامة مع الترك امام القانون من

جميع الوجوه .

وظلّ الصراع الى ان نشبت الحرب الكبرى فأطلق الملك حسين ، رحمه الله ، اول رصاصة من بطاح مكة في التاسع من شهر شعبان سنة ١٣٣٤هـ ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ فكانت ايذاناً ببدأ الثورة العربية الكبرى، وانتهت الحرب، والامنيات تهجس في الضمائر بميلاد فجر الأمة العربية، ورحب السوريون بهذا اليوم السعيد من حياتهم . ولا يتسع المجال هنا لبحث اطوار القضية العربية بل اردنا من هذه التوطئة ان نصل بسرعة الى القضية السورية ، وان نمر بتطوراتها بسرعة ايضاً ، لنخلص منها الى الحوادث الدامية التي واجهتها سورية الأبية في شهر نوار الماضي والتي هي نهاية الصراع في هذه القضية التي يحاول الافرنسيون تعقيدها كلما لاح بارق بحلها واقتربت من شاطيء السلام .

***

من الايام الحلوة العذبة التي يذكرها السوريون كل عام بمرارة وحرقة وألم يوم ٨ آذار سنة ٩٢٠ ، ففي هذا اليوم اعلن استقلال سورية التام ، وانشأت مملكة سورية المتحدة، وجرت حفلة تنصيب الامير فيصل ملكاً عليها، وقد وضع المؤتمر السوري في جلسته التاريخية التي عقدت في السابع من شهر اذار مذكرة سياسية خطيرة ختمها بقوله :

---

(١) كتب هذا المقال في شهر حزيران ١٩٤٥

« ان الامة العربية ذات المجد القديم ، والمدنية الزاهرة ، لم تقم جمعياتها واحزابها السياسية ، في زمن الترك ، بمواصلة الجهاد السياسي ، ولم ترق دم شهدائها ، وتثر على حكومة الترك الاطلب للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات وجود مستقل وقومية خاصة لها الحق في ان تحكم نفسها بنفسها اسوة بالشعوب الأخرى التي لاتزيد عنها مدنية ورقياً ..

ولكن هذا الاستقلال الذي مارسته الأمة ، وكان امنيتها الغالية مدى الأجيال ، هذا الاستقلال الذي تحتفل بذكراه الاليمة الموجعة كل عام ـ لم يدم طويلاً ، فقد اعتدى عليه الافرنسيون ، وفرضوا عليه نظاماً ثقيلاً سموه « الانتداب » وهو نظام استعماري بحت ، قاومته الامة بكل ما تملك من قوة وجهد ، وظلت تقاومه الى يومنا هذا . .

ومرّت البلاد ، بعد ان ذاقت طعم الاستقلال على عهد فيصل الذي مرّ كالحلم الذهبي ـ بظروف عصيبة قاسية هي من احلك الظروف ، واصبحت سورية اشلاء ممزقة ، فقد اتخذت فرنسا سياسة التجزئة اساساً لفرض نفوذها : قطعت اوصال البلاد ، ومزّقت اطرافها ، وقسّمتها الى دويلات .

سورية الصغيرة الوديعة الآمنة اصبحت في نظرها قارة كبرى مخيفة ، فكان لنا من هذه السياسة الخرقاء ، دولة حلب ، ودولة دمشق ، ودولة العلويين ، ودولة جبل الدروز ، ولواء

الاسكندرون. ووضعت لكل دولة نظامها الخاص ، وظنت انها. بهذا التقسيم ، تقضي على سوريا قضاءً ابدياً . ولكن هذه المهزلة لم تطل ، فقد شعر الافرنسيون أنفسهم ، تحت وابل من ضجيج الشعب واستنكاره ـ ان هذه العملية من المهازل الكبرى التي تتعارض حتى مع روح الانتداب، فلجأوا الى انشاء اتحاد سوري سنة ١٩٢٢ بين دول دمشق وحلب والعلويين ، ووضعوا لهذا الاتحاد من القيود ما جعله « طبق الاصل» من القيود التي وشحوا بها الدول الهزيلة التي خلقوها وسهروا على رعايتها ! . .

ولم يعش هذا المجلس ايضاً فألغوه ، وقرروا انشاء الدولة السورية الجديدة ، وجعلوا من شروطها اتحاد دمشق وحلب على ان تبقى حكومة العلويين خارج الدولة الجديدة .. وهكذا، فقد كانت كل حلولهم بترآء مقضي عليها بالموت لأنها غير طبيعية من جهة ، وتتنافى واماني البلاد من جهة اخرى . .

وبينا كان الافرنسيون يضعون هذه الاسس المعوّجة لحكم سورية ، كانت البلاد بجميع احزائها تغلي كالمرجل ، فقد قامت الثورات الدامية الرهيبة في جميع البقاع ، فمن ثورة المرحوم ابراهيم هنانو في شمالي سوريا ، الى ثورة الشيخ صالح العلي في جبل العلويين، الى غيرها، وما زالت البلاد في وضع مضطرب من الافتئات الصارخ على حقوق الوطن حتى قامت الثورة الكبرى في جبل الدروز وفي غوطة دمشق ، واستطاعت البلاد ان تفهم

الافرنسيين خلال سنوات خمس انه من العسير ان تحكم هذه البلاد كما تحكم بلاد الكاميرون ومجاهل السنغال !.. نعم ، لقد حاول الانتداب ان يفرض سلطته الغاشمة على ذاتية الأمة السورية اكثر من مرة، وان يذيب شخصيتها، فكانت ارادتها أقوى من محاولاته والآعيبة ، وأشدّ من حديده وناره ..

* * *

بعد ان فشلت اسطورة الاتحاد ، لوّحوا بالوحدة ، ثم بالحكم النيابي، ثم بالمعاهدة. وارادت البلاد، وهي غير مطمأنة الى الوعود، ان تجرب كل هذه الاغذية العسيرة الهضم ، ومع ذلك ، فكانوا يأخذون بالشمال ما يعطونه باليمين. أي ان العقلية لم تتبدل ، وهي اخضاع هذه البلاد لحكم مباشر واستغلال خيراتها كأنها مستعمرة في مجاهل الهند الصينية !..

* * *

بعد الثورة وضحاياها ـ كانت البلاد تحكم حكماً اوتوقراطياً لأن جميع المفوضين السامين الذين بعثتهم فرنسا كانوا عسكريين ـ بعد هذه الثورة وضحاياها كان من المنتظر ان يثوب عمال الانتداب الى الرشد .. ولكن اين هو المنطق عند هذه العقول التي كان همها الاستثمار والاستعمار، وان تحكم بالعنف والاهوآء، وان تفرض على البلاد الذل والفقر والنار .

فعم ، انتظرت سورية بعد ان سجنت الحكومة الفرنسية

الجنرال ساراي الذي قذف عاصمة الامويين بالمدافع كما قذفها اليوم الجنرال بينه ، وارسلت عوضاً عنه مفوضاً سامياً من الدبلوماسيين الذين عاشوا حياتهم في العراك السياسي ـ انتظرت ان تتبدل السياسة ، وان تعيش في دعة واطمئنان .. ولكن ماذا كان ؟..

لا بأس ان نمرّ مروراً سريعاً بهذه المراحل التي مرت بها القضية السورية لنصل الى الاحداث التي واجهتها في هذه الأيام.

جاء دوجنفيل والثورة لا تزال مضطرمة ، واراد ان يلعب دور السياسي اللبق ، وان يتصل بالهيئات السياسية الوطنية في باريس وجنيف ومصر ، وان يعرف حقيقة القضية السورية ومراميها ، ولم تبخل عليه هذه الهيئات فأجملت مطالب السوريين وقالت له انها تلخص بالمواد الآتية :

١ ـ تأليف الوحدة السورية .

٢ ـ تأليف حكومة وطنية .

٣ ـ دعوة الجمعية التأسيسية .

٤ ـ الغاء الانتداب .

٥ ـ سحب جيش الاحتلال .

ولكن لم يكد يصل ثغر بيروت ويتصل بعمال الانتداب حتى تبلورت سياسته الناعمة بسياستهم الغاشمة ـ واصبحت سياسته لا

تختلف كثيراً عن سياسة من سبقه من المفوضين العسكريين !!

وبعد دوجفنيل جاء بونسو ، وجاءت دروسه للقضية ، وقد افسح المجال لوضع الدستور وتنظيم اسس الحكم ولكن ما كادت هذه الأسس توطد حتى نسفها بطي المواد الست ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ١١٠ ، ١١٦ من مشروع الدستور ـ هذه المواد التي تحرم الدولة السورية من سيادتها واستقلالها .

ومرّت البلاد بظروف استثنائية أقل ما توصف به ان الصراع لم يهـــدأ بين الحق والباطل ، وكان تضامن الأمة مضرب المثل .

وفشل بونسو في سياسته ايضاً فسحب وارسل عوضاً عنه الكونت دومارتيل الذي أخذ على عاتقـه تنفيذ معاهدة ١٩٣٣ فرفضت بالاجماع لأنها كانت معاهدة بترآء لا تحقق الوحدة التي تنشدها البلاد ، ولا يتسع المجال لعرض الادوار التي مرّت بها من مطالب الأمة حتى سنة ١٩٣٦ حيث سافر الوفد الوطني الى باريس وعقد معاهدة جديدة ربما كانت اوسع من جميع الحلول التي عرضت سابقاً ، وان كانت بمجموعها هي ادنى ما تحققه من اماني الأمة . وقد علق أمر تنفيذ هـذه المعاهدة ثلاث سنوات وبدأت الايادي الهدامة تضرب بمعول قوي كانت نتيجته ان فوضوا الحكم الوطني . وخلقوا حكومة سموّها «حكومة المديرين» ، وعادوا بالبلاد عشرين سنة الى الوراء يحكمونها حكماً مباشراً فيها لون من

الاذلال ، وقد القى المسيو غبريل بيو المفوض السامي خطبة في الراديو في التاسع من كانون الثاني سنة ١٩٣٩ قبـــل تعطيل المجلس النيابي بحث فيها عن الانتداب وقوة فرنسا وقال : « ان الانتداب اعطي لفرنسا من اكبر مجموعة دولية عرفها التاريخ ، وبرضآء أهل البلاد !!. وبقرار فرنسا » مع انه لم يأت وقت من الاوقات كانت سورية راضية عن الانتداب ، وقـد فنّد النواب الشرعيون هذه البيانات في جلسة ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٣٩ ومما قاله النائب السيد شكري القوتلي « ليس في وسعنا ان ننكر او نتجاهل ، يا حضرة السفير، قوة سلاح فرنسا وثقة حلفائها » ولكن الذي ينكره تاريخ هذه البلاد ولا يحتويه سجلها القومي هو « رضى الأهلين الودي بالانتداب » ولعلكم تذكرون تلك الاضطرابات وما توالي من اضطرام النفوس من سنة ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٦ ، وان هدفها الاوحد ، وغايتهـا القصوى ، لم تكن الا اعلان السخط على هذا النظام الذي فرض علينا ولم تكن لنا آراء لافي اختياره ، ولا تطبيقـه ، ولم تقره ، ولم تعترف البلاد عليه » .

عاد الافرنسيون من حديث المعاهدة التي ابرموها الى حديث الانتداب، اي عادوا الى أيام غورو ـ الى سياسة البطش والفتك، ومع ان المعاهدة كانت الحد الادنى للمطالب السورية، كما قلنا ، فقد نكلوا بمواثيقهم وعادوا يجربون سلسلة من السياسات المتباينة ، وخلاصة القول ان البلاد مرت من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٣٩ باحداث

خطيرة نرجو ان تصدر الحكومة الوطنية كتاباً رسمياً عن جميع هذه المراحل ، على ان تثبت فيه جميع المذكرات الرسمية والنداءآت الشعبية التي وضعتها « الكتلة الوطنية » يوم كانت هي الهيئة الشعبية الوحيدة التي تفصح عن رأي البلاد السياسي ..

فتلك المذكرات والنداءآت التي كانت تصيخ لهـــا الأمة بالاجماع هي وثائق تاريخية ثمينة لها قدسيتها في تاريخ مراحل القضية السورية .

***

ودخلت سنة ١٩٤٠ والحرب الثانية الكبرى قـد اشتعلت نارها ، ورأت فرنسا ان الفرصة مواتية لأن تعود سيرتها الاولى، اي حكم هذه البلاد حكماً مباشراً ، وسكتت الأمة على مضض ، ولكن رجالاتها الابرار ، لا سيما الذين استطاعوا ان يفلتوا من جور الوشايات ، لم يهملوا أمر «القضية الوطنية»، واتيح لهم ان يعملوا بصمت ، فسافر شكري القوتلي الى بغداد ، وسافر جميل مردبك اكثر من مرة الى مصر ، وكان للحكومة المصرية يدها في استقلالنا الذي اعترفت به الدول الكبرى ، ومن الانصاف ان نذكر بهذه المناسبه الدور الخطير الذي لعبه النحاس باشا الذي كان على اتصال وثيـــق برجالات البلاد وبالجنرال كاترو الذي اذاع في الثامن من حزيران سنة ١٩٤١ نداء خاطب فيـــه السوريين واللبنانيين بقوله :

« اني قادم اليكم لانهاء عهد الانتداب واعلان حريتكم واستقلالكم . وستصبحون من الآن فصاعداً شعباً حراً ذا سيادة. وستتمكنون من ان تؤلفوا دولاً منفردة او ان تتحدوا ـ الخطاب للسوريين واللبنانيين ـ في دولة واحدة . وفي الحالتين سيكفل استقلالكم وتكفل سيادتكم » ..

واعترفت الدول العظمى بهذا الاستقلال الذي مارسه السوريون بحق ، واخذوا ، بعد ان تألفت الحكومة الشرعية ، باستلام الصلاحيات ، واستلم السوريون جميع المرافق التي يسيطر عليها الافرنسيون سوى الجيش .. وطالت المفاوضات بشأنه ، واذا فرنسا ، ولا تزال تعيش بعقلية غورو وساراي وجميع عمال الانتداب ـ اذا بها تريدان ان تفرض سيطرتها من جديد، وتريد ان تلغي كل مظاهر السيادة، وتعود بسورية ولبنان الى بدء أيام الاحتلال .

***

هذه سطور سريعة ولمحات خاطفة عن « مراحل القضية السورية» التي واجهت في هذه الايام احداثاً دامية خطيرة اقلقت العالم المتمدن للجوء فرنسا الى اساليب بربرية تتنافى وابسط قواعد التمدين وسمات الانسانية .

★ ★ ★

وها نحن نترك للحوادث ان تتكلم معتمدين على المذكرات

الرسمية التي كانت بدء قطع المفاوضات .

★ ★ ★

في الجلسة التاريخية التي عقدها النواب ظهر يوم الاثنين المصادف ١٤ ايار وقف جميل مردم بك وزير الخارجية ورئيس الوزراء بالوكالة والقى خطاباً مطولاً رداً على المذكرة الفرنسية ومما قاله :

« .. اننا غير مستعدين لمنح اي امتيار لأية دولة كانت ، وغير مستعدين لعقد معاهدة تمس استقلال البلاد وسيادتها ، ونحن عازمون عزماً اكيداً بعد ان وضعت الحرب اوزارها ان نطالب بجلاء الجيوش الاجنبية عن هذه البلاد ، واننا نعتبر انفسنا دولة حرة مستقلة ذات سيادة » .

وقد تضمنت المذكرة الفرنسية الفقرات الآتية :

« ... صيانة المصالح الجوهرية التي تحتفظ بها فرنسا في سورية ولبنان . وهذه المصالح على ثلاثة انواع : ١ ـ ثقافية ٢ ـ اقتصادية ٣ ـ حربية « استراتيجية » .

« .. ان الاحكام الثقافية التي تهم سورية وفرنسا يمكن تحديدها وضمانها باتفاق جامعي ، ويمكن تحديد الاوضاع الاقتصادية المتقابلة وضمانها باتفاقات مختلفة ينص عليها في موضوع كهذا بالاصول الدولية المعتادة . اما الاوضاع الاستراتيجية فتتضمن

قواعد تمكن من ضمانة طرق مواصلات فرنسا وممتلكاتها فيما وراء البحار .. وعندما يتم التفاهم على هذه النقاط توافق الحكومة الفرنسية على نقل القطعات الخاصة الى الدولتين ـ سوريا ولبنان ـ مع الاحتفاظ ببقاء هذه الجيوش تحت القيادة العليا الافرنسية ما دامت الظروف لا تسمح بممارسة القيادة الوطنية ممارسة تامة».

وقد اجابت الحكومة السورية على هذه المذكرة بالمذكرة الآتية وهي من الوثائق الهامة في تاريخ القضية السورية .

« ان الحكومة السورية التي عملت جاهدة على خلق جو هادىء على حل المسائل المعلقة بين سورية وفرنسا كانت وقفت موقف الأسف حيال العناصر العسكرية الفرنسية والتي كثيراً ما عرقلت هذه الجهود ، وهي ترى من واجبها ان تحتفظ بالموقف الذي اتخذته من قبل فيما يتعلق بانزال جيوش اجنبية في اراضيها وان توضح مرة أخرى انها ترى في انزال قوات جديدة في سورية ولبنان عملاً غير ملائم ولا يمكن ان يرضى عنه .

ولقد بينت الحكومة للجانب الفرنسي في ايار ١٩٤٥ انها لن تقبل في المستقبل بدخول جيوش اجنبية اراضيها او مرورها على ظهر بارجة حربية دون سابق موافقة من الحكومة السورية بالرغم من ان وزير الخارجية السورية أوضح لسعادة اوستروروغ حين سلمه مذكرة في ٦ أيار ١٩٤٥ وجهة نظر الحكومة السورية في هذا الأمر ، وقد ابدى معالي السيد هنري فرعون وزير

الخارجية اللبنانية بعد ذلك متكلماً باسم الحكومتين السورية واللبنانية انه في حالة وصول قوات افرنسية جديدة دون موافقة سورية ولبنان ستتخذ الحكومتان الاجراءات التي تقتضيها الظروف .

وفي خلال المقابلة التي جرت في الساعة ١٧،٣٠ من يوم الخميس ١٧ أيار ١٩٤٥ في قصر المهاجرين بين فخامة رئيس الجمهورية وسعادة الجنرال بينه بحضور دولة جميل مردم بك رئيس الوزارة بالوكالة ووزير الخارجية اعلن الجنرال ان فرنسا مستعدة لتسليم الجيوش المسماة بالخاصة لسورية ولبنان مع التحفظ بدرس اساليب انتقال هذه القوات، وان فرنسا تطلب مقابل ذلك منحها قواعد جوية بحرية في لبنان وأخرى جوية في سورية كما تطلب ضمان مصالحها المادية ومصالحها المعنوية التي يتفرغ عنها عقد اتفاق جامعي .

وقد وجه فخامة رئيس الجمهورية ودولة رئيس الوزراء نظر الجنرال الى ان هذه المرة هي الأولى التي تتقدم فرنسا فيها بمثل هذه الطلبات، واوضحا له ان هذه الطلبات لا يمكن القبول بها .

وقد اتفق في ختام المقابلة على ان يحمل سعادة الجنرال بينه في الساعة ١١ من يوم الجمعة في ١٨ أيار ١٩٤٥ مذكرة خطية تتضمن فحوى هذا الحديث الى وزارة الخارجية حيث يستقبله دولة وزير الخارجية بحضور معالي السيد هنري فرعون وزير

الخارجية اللبنانية ، وخلال الاجتماع الذي عقد في اليوم التالي قدم الجنرال بينه مذكرة خطية تتضمن الطلبات الفرنسية التي ذكرها في حديثه، ولكن هذه المذكرة لم تقتصر على جعل انتقال الفرق الخاصة الى سورية منوطاً بمنح القواعد المطلوبة بل ابقت هذه الفرق تحت القيادة الفرنسية لمـــدة غير محدودة انيطت بالظروف المستقبلة .

فأمام هذه الوقائع تعلن الحكومة السورية التي اقامت مراراً البرهان المحسوس على نياتها وعلى اكيد رغبتها في ايجاد حل للأمور المعلقة بين فرنسا وسورية ، ان هذه المذكرة تتضمن طلبات وتنم على روح لا تتفق مع استقلال سورية وسيادتها، وانه ليس باستطاعة الحكومة ان تدخل في المفاوضة مع فرنسا على الاساس الوارد في المذكرة .

وهي الى جانب ذلك تؤكد انها تعتـــبر استقدام الجنود الفرنسية الى سورية ولبنان دون الحصول على موافقة الحكومة السابقة مساساً صريحاً بسيادة البلاد واستقلالها وظاهرة ضغط لا يمكن قبولها .

لذلك فان الحكومة السورية تطلب باصرار ان تسحب جميع القوات الأجنبيه من اراضيها وان يصار الى تسليمها جيشها في اقرب وقت » .

★ ★ ★

وهكذا ، فقد رفعت فرنسا البرقع الذي سترت فيه وجهها

خلال سنوات الحرب يوم كانت مهشمة تحت سيطرة الاحتلال النازي ، وظهر ان مرامها اوسع مما تضمنته مذكرتها ايضاً ، وقد ثبت ذلك من الاعمال الشائنة التي اقترفتها ، من والتعميم الذي اذاعه الجنرال على جميع قوادة وضباطه وجنوده ، وخلاصته القضاء على الجمهورية السورية قضاءً مبرماً بنسف البرلمان والاستيلاء على دار الحكومة واطلاق النار على جميع المدن السورية ـ وأخيراً على السكان الآمنين .. وقد نفذت هذه الفعلة الشنعاء في جميع المدن السورية ، فبدأت حوادث الاستفزاز ، ثم حوادث الضرب والتدمير واطلاق المدافع والقذف من الطائرات ، واصبحت سورية وكأنها ساحة من ساحات الحرب . وانتهى الامر بعد ان مرت البلاد بأيام سوداء خلال اسبوعين كاملين ، ان صدرت الاوامر بتدمير العاصمة دمشق تدميراً افلق العالم كله ، واندفع الجنود الى البيوت الآمنة يفتكون بالارواح ويقطّعون الأيدي ويبقرون البطون ، ولم يتركوا وسيلة من وسائل الهمجية الا ارتكبوها من التمثيل بالقتلى ، الى حرق الاسواق ، الى هدم الدور مع السلب والنهب ، الى غير ذلك مما يسجل في تاريخ فرنسا صفحة سوداء ووصمة خالدة ..

وقد راع الأمر جميع من كان في دمشق ، ومن حسن حظ سورية ان كثيراً من مختلف رجال الهيئات السياسية قد شاهدوه واصابهم بعض رشاشه ـ من انكليز وامريكيين وروس وغيرهم وغيرهم فنقلوا بعض ما رأوه الى دولهم ، واذاعته كبريات الصحف

ومحطات الاذاعة في اوروبا وامريكا وهذا الذي دعا العالم المتمدن ان يستنكر هذه الاعمال الطائشة التي تتنافى مع ابسط قواعد التمدين والانسانية.

وثار العالم العربي للموقف المزري الشائن الذي وقفته فرنسا من سورية ، وكان لا بد في هذه الظروف الحرجة من ان يتشاور اقطاب العرب في ردّ العدوان ، ودعت مصر « الجامعة العربية » الى اجتماع يعقد في الرابع من شهر حزيران سنة ١٩٤٥ ، وافتتح الاجتماع محمود فهمي النقراشي باشا رئيس وزراء مصر الذي رحب بممثلي دول الجامعة العربية ، وحيا بخشوع ذكرى الذين استشهدوا من السوريين في سبيل الذود عن الحرية والكرامة الانسانية ـ وعددهم يربو على ـ الالفين ثم قال :

« انني على بركة الله افتتح هذه الجلسة للنظر في حالة سورية ولبنان الشقيقتين ، ولكي نؤدي واجبنا في سبيل صيانة استقلالهما وسيادتهما كاملين وفي سبيل امنهما ورفاهيتهما دائمين » . وبعد ان لخّص دولته حوادث الشهر الماضي ووصف تصرفات الفرنسيين بانها اعتداء شنيع على المدن الآمنة ، وكيف وقفت الحكومتان السورية واللبنانية موقفها الحازم الرزين المشرف ، شكر لبريطانيا العظمى تدخلها لايقاف القتال وحقن الدماء ، كما وجه الشكر لامريكا . واستطرد يقول : ونحن شاكرون لروسيا موقفها

الذي بلغني اياه وزيرها المفوض امس وهو موقف يؤكد ايمان الدول العظمى جميعاً بأن القوة لم تعـــد الوسيلة المقبولة لاقامة العلاقة بين الشعوب والدول . ونرجو ان يكون ما حدث من فرنسا تنبيهاً للدول العظمى بالخطر الذي يهدد السلام من جراء استعمال القوة فيعملون على وضع النظم الكفيلة بتلافيه في المستقبل. والآن ها هي قضية سورية ولبنان بأكملها بين ايديكم انتم ممثلو الدول العربية ومن ورائكم العرب في جميع اقطارهم ، ولن يكون قراركم مستمداً الا من ارادة الأمة العربية وشعورها . واني لواثق بما اعـــلم من تضامن الشعوب العربية وحكوماتها ومن اخلاصها لقضية السلام والامن العالمي ، ان مجلسكم الموقر سينتهي الى قرارات قوية حكيمة تلقى تأييد العرب في كل اقطارهم بل تأييد الرأي العام العالمي » .

والقى دولة سعدالله الجابري رئيس مجلس النواب السوري كلمة عرض فيها للحوادث الدامية الأخيرة التي كانت البلاد السورية مسرحاً لها . وقال ان الغاية التي كان الفرنسيون يرمون اليها من هذه الاعتداءآت هي التشفي والترويع وكسر شوكة الأمة العربية واخضاعها لما يريدون، وحملها على التسليم بما يطلبون من عبوديتها واذلالها والقضاء على سيادتها واستقلالها . ولكنهم نسوا ان املاً يملأ جوانحها ايمان مكين بحقها واعتقاد عميق بصلاحها للحياة والمجد رسخت اصوله الى مدى بعيد في التاريخ ، لا يذلها العدوان والطغيان وانما يشد عزيمتها ويبعث فيها القوة من جديد.

ودحض دولته حجج الفرنسيين وادعاءاتهم لتبرير اعتدائهم .

ثم تكلم عن السياسة التي سارت عليها فرنسا في سورية ولبنان . وقال : من الغريب ان لا يتمكن ديغول من تغيير عقليته الاستعمارية والتحكم والاساءة الى الامم الضعيفة وهو الذي ذاقت بلاده ما ذاقت من احتلال الاجنبي . ان سورية واثقة من انتصار قضيتها الذي هو انتصار قضية العرب جميعاً وكما تنفرج جراحها عن دمائها السخية المراقة ينفرج ثغرها في تواضع عن استشهاد الجندي الذي ادى واجبه في شجاعة وايمان وازجى دولته الشكر الى البلاد العربية وملوكها وامرائها وحكوماتها ورؤسائها وابنائها على ما احاطوها به من عطف وتأييد وما اسدو اليها من معونة كما خص الحكومة البريطانية بالشكر على تدخلها الذي وضع حداً لاراقة الدماء والمجاعة . وقال انها حصرت تدخلها في ناحية الأمن العسكري فقط ولم تتجاوز قط الى ما يمس سيادة البلاد واستقلالها .

ثم القى وزير خارجية شرق الاردن كلمة اشار فيها الى الحوادث الاليمة وصداها في شرق الاردن بقوله : اننا في شرق الاردن لا يفصلنا عن الشام حدود او مواقع وقد استهدفت سورية لنزوات الفرنسيين من اعتداء وتخريب واضطهاد وتعذيب وقد افعمت قلوبنا بالحسرة والألم لهذه النازلة التي حلت باخواننا . وختم كلمته بقوله ليعمل مجلس الجامعة عملاً يرد به الحق الى نصابه .

ثم القى السيد مزاحم حمدي الباجه جي رئيس الوزارة العراقية كلمة جاء فيها ـ ان الاعتداء على سورية ولبنان انما اعتداء واقع على العرب كافة واننا عندما نعالج قضية سورية ولبنان فاننا نعالج عن طريقها قضية العرب لان سورية ولبنان هما العمود الفقري للبلاد العربية . نجتمع اليوم هنا لمعالجة اهم قضية اثارها العدوان الفرنسي ضد القطرين، وقد بذلت سورية ولبنان جهوداً جبارة وقدمنا تضحيات عالية في سبيل تحقيق امانيها الوطنية الحقة فجابهتها منذ خمسة وعشرين عاما مصاعب جمة من جراء هذا العدوان وما انطوى عليه من سياسة مرهقة لم تأت الا بنتائج فاشلة . وقد تلقى ابناء الدول العربية ومن جملتها الشعب العراقي خبر هذا العدوان بمنتهى الالم والدهشة فتحفز الجميع لمناصرة وتعضيد هذه القضية المشتركة بكل مالديهم من حول وقوة . ان العالم العربي والعالم اجمع يتطلعان الى ما سيتخذه مجلس جامعة الدول العربية من اجراءات ولذلك فان اضطلاع هذا المجلس بمعالجة أمر هام كهذا لأول مرة ، يعتبر اول تجربة لقوته وحيويته بل هو اول عمل يؤيد تآزر واتحاد البلاد العربية في حفظ وصيانة حقوق دول الجامعة العربية ، ويعتبر في الوقت ذاته امتحاناً لهذا التآزر . وعلى مجلس الجامعة ان يظر قوته في اتخاذ قرار حازم يحقق اهداف جامعة الدول العربية في تأييد حقوق العرب وتحقيق آمالهم وامانيهم والتعاون مع دول العالم على صيانة السلم العام وتدعيم قواعده، وانني اعلن

الآن باسم العراق حكومة وشعبـــاً استعداده لنصرة سورية ولبنان الى اقصى حدود النصرة وبجميع الوسائل الـــتي يقررها مجلس الجامعة المحترم ، ونحن ما كنـا هازلين حين ساهمنا في تكوين هذه الجامعة التي نعتبرها ولا شك حارسة امينة لصيانة حقوق العرب وكرامتهم .

ثم القى سعادة الشيخ يوسف ياسين مندوب المملكة العربية السعودية كلمة قال فيهـــا : ان تلك المدافع التي صوبت الى قلب العمران والآمنين من السكان في سورية لم تكن في الحقيقة موجهة اليها وحدها بل كانت اصابتها ووقوعها في قلب كل عربي وكل بلد ينطق اهله بالضاد . واستطرد يقول : ان الحرص على تأييـــد استقلال سورية ولبنان كان من أبرز ما تناوله جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بالبحث مـع الفقيد الرئيس روزفلت والمستر تشرشل في اجتماعه بهما . وقـد اكد الرئيسان لجلالته اعترافهما بالجمهوريتين الناشئتين سورية ولبنان واستقلالهما . وقد اكد جلالة الملك عبد العزيز للوزير الفرنسي المفوض لدى حكومة جلالته ان مصلحة فرنسا تقضي عليها بان ترد الى سورية ولبنان كل مالهما من حقوق . ولم يتردد جلالته في توجيه رسالة خاصة الى الجنرال ديغول يوضح فيهـا انه بات يخشى على الصداقة القائمة بين فرنسا والعرب ان تتصدع . وذكر جلالته ان العرب يترقبون الكلمة الأخيرة من فرنسا عن موقفها الأخير من سورية ولبنان لانها

ستكون فصل الخطاب في العلاقات بين فرنسا وسائر البـــلاد العربية . وقال سعادة الشيخ يوسف ياسين ان جلالة الملك عبد العزيز طلب منه في ٢١ ايار ان يبلغ وزيري بريطانيا والولايات المتحدة ان العرب لا يطيقون ان يقفوا امام الاعتداء على هذين البلدين العربيين وقفة المتفرج . وقال : انه حـين ازداد الموقف تحرجاً طلب منه جلالته ابلاغ الوزيرين ان يطلبا من حكومتها التدخل . وختم سعادته كلمته بقوله : لقـد وجب ان نعمل في اجتماعنا هذا كل ما نستطيع عمله لرد العدوان وتقرير السلام في هذه الربوع العربيـــة لأن الاعتداء عليهـا هو الاعتداء على العرب اجمين .

ثم القى دولة عبد الحميد كرامي رئيس وزارة لبنان خطاباً شكر فيه الدول العربية على مبادرتها الى عقد مجلس الجامعة ، وقال : ولسنا نشك في ان المجلس انما اجتمـع اليوم لشدّ ازرنا والوقوف بجانبنا من النزاع القائم بيننا وبين الحكومة الفرنسية الموقتة، وانا لموقنون ان جامعة الدول ستخرج من هذا الامتحان أشد قوة ومناعة لان القضية المعروضة عليها قضية حق وعدالة من جهة ، وعسف وعدوان من جهة أخرى . ان وقف الاعتداء على ما فيه من حقن للدماء لا يشكل حلا للنزاع ، وقضيتنا الاساسية لا تزال مطروحة ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نتقدم الى بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية والاتحـاد السوفياتي بالشكر على موقفها النبيل، واننا لمؤمنون ايماناً لا يتزعزع وواثقون من بلوغنا

اهدافنا ولا نزال موقنين ان عالما ـ سفك دماء الملايين من ابنائه لخلق جيل جديد يسوده السلام وتميزه العدالة وتعيش فيها جميع الامم كبيرها وصغيرها حرة مستقلة ـ لا يرضى ان يظل السلام مهدداً في بلد صغير كلبنان لا ينشد الا الحياة الآمنة في ظل الحق والعدل والحرية .

***

وبعد هذه الجلسة التمهيدية ، عقد مجلس الجامعة العربية ست جلسات متوالية ، اتخذ خلالها قرارات عامة ، وقرارات سرية ، اما المقررات العامة فهي تطمأن الشعور العربي ازاء العدوان الفرنسي ، وتلخص بالنقاط الآتية :

اولاً ـ ان الحكومة الفرنسية قد اعتدت على سورية ولبنان وعليها وحدها تقع مسؤلية ما حدث من قتل وتدمير وسلب .

٢ ـ أ ـ ان بقاء القوات الفرنسية في اراضي الجمهوريتين السورية واللبنانية يتنافى مع حقوق السيادة والاستقلال المعترف بها (ب) وان وجود هذه القوات يعرّض البلاد والسكان الى مثل هذه الحوادث الفاجعة التي وقعت اخيراً والتي حدث مثلها في السنوات الماضية .

ج ـ ولما كان بقاء هذه القوات يحدث توتراً مستمراً في علاقة فرنسا مع الجمهوريتين السورية واللبنانية ومع البلاد العربية ، ويعوق مجهود الدول العربية والحليفة في الحرب ضد اليابان ،

لذلك يؤيد مجلس الجامعة طلب سورية ولبنان بجلاء هذه القوات العاجل عن أرضيها .

وحين يقرر مجلس الجامعة ذلك لا يفكر ابداً ببقاء قوات اجنبية أخرى اذا انه سبق واعلنت الحكومة البريطانية رسمياً انها مستعدة لسحب قواتها حالاً من القطرين العربيين .

٣ - يرى المجلس - فيما يتعلق بالفرق الخاصة - ان هذه الفرق وما يتبعها من مهمات وعتاد ومصالح أخرى هي لسورية ولبنان ويجب تسليمها حالاً للقيادتين السورية واللبنانية لتكون تحت تصرف الدولتين .

٤ - يتخذ مجلس الجامعة جميع التدابير اللازمة وفقاً للمادة السادسة من ميثاق الجامعة بشأن دفع الاعتداء الفرنسي عن البلدين .

وحين يتخذ المجلس مثل هذا القرار فهو لن يدخر وسيلة من وسائل التضحية والجهود في سبيل القيام بواجبه نحو الدولتين وهو يقوم الان بتنسيق الوسائل والجهود على ضوء التطورات الدولية المحتملة ، بمعونة دول الجامعة لتحقيق غرضها من استقلال وسيادة تامين لسورية ولبنان وجلاء القوات الاجنبية عن اراضيها .

وقال السيد عبد الرحمن عزام بعد تلاوته نص المقررات ما يلي :

ان مجلس الجامعة قد تبين الحقيقة مما وقع من الحوادث وهو على استعداد لتبيان كل حقيقة تريدها أية دولة او مجموعة من الدول او هيئة محايدة، وتسهل لها الحكومتان السورية واللبنانية مهمتها ، وتقدم دول الجامعة العربية كل التسهيلات لتوضح لها الحقيقة .

وحين تهيب الدولتان بالدول العربية او الامم المتحالفة لانقاذهما من الاعتداء فانما تناجيان ضمير الانسانية التي قاست ويلات الحرب وذاقت مرارة الحرمان والطغيان .

وقد كان في مقدمة ما عنى به اعضاء المجلس ، ان يصدر من حكومتي سورية ولبنان وشعبيها على اختلاف طوائفه ، قرار واحد ، على أساس ان قضية القطرين واحدة واختلافها مع المطاليب الفرنسية مشترك ، وهذا ما اتفقت تصريحات رئيسي الوفدين عليه .

اما هذا القرار أو القرارات التي يصدرها القطران الشقيقان فهي تتناول ما يأتي :

١ — تقرير المطالبة بالاستقلال التام لكل من سورية ولبنان طبقاً للتصريحات الرسمية التي صدرت منذ جلاء قوات فيشي والمحور عنها ودخول جيوش الحلفاء مدنها .

٢ — الاحتجاج على الحوادث الاليمة .

٣ ــ تقرير الجلاء التام للجنود الفرنسية عن بلاد القطرين قبل كل بحث او مفاوضة .

٤ ــ تقرير وضع القوات الوطنية السورية واللبنانية تحت السلطة الوطنية وزوال السيطرة الفرنسية عنها .

٥ ــ تقرر ان فرنسا مسؤلة عن الحوادث الأخـــيرة في سورية ووجوب اجراء تحقيق بالأشخاص والممتلكات ، وتقدير التعويضات المناسبة لها ، ومحاسبة المسؤلين عن ارتكاب الحوادث الاليمة .

٦ ــ رفض أي مركز خاص لفرنسا في القطرين .

٧ ــ جعل السيطرة على المراقق العامه والسكك الحديدية والمواصلات بانواعها ومن ذلك الاسلاك واللاسلكية للحكومة الوطنية .

وقد أيدّ مجلس الجامعة هذه القرارات على ان يتخـذ من الوسائل السياسية والتدابير ما يكفل اذاعتها وتنفيذها .

* * *

وقد عبرّت هذه القرارات اصدق تعبير عن شعور الأمة . اما الحل النهائي فقد ترك لمؤتمر ثلاثي يعقد في لندن .

ومما بحثه مجلس الجامعة وجوب تمثيل جامعة الدول العربية

الى جانب سورية ولبنان في مؤتمر دولي يعقد للبحث في النزاع القائم . وان كل قرار يصدره المؤتمر لا يكون ملزماً للدولتين الا اذا قبلنا به بكامل حريتهما .

« ولم يعقد المؤتمر الخماسي .. الا ان بريطانيا وفرنسا اتفقتا في مؤتمرين عقدا في كانون الأول سنة ١٩٤٥ ، في لندن ثم في بيروت ، على اعادة توزيع قواتهما في هـذه المنطقة ، وابدت سورية ولبنان اعتراضهما الشديدعلى اي تدبير يتمّ دون موافقتهما، وطالبتا بجلاء القوات الاجنبية عن اراضيهما جلاءً تاماً ،ورفضتا الاعتراف بأي مركز ممتاز لأية دولة فيها ،وأبدت الولايات المتحدة وروسيا اعتراضهما على الاتفاق الثنائي الذي تمّ بـين فرنسا وبريطانيا . وعندما عقدت هيئة الامم المتحدة دورتها الأولى في لندن في كانون الثاني ١٩٤٦، دافعت سورية ولبنان عن حقوقهما دفاعاً قوياً . وفي شهر اذار من العام نفسه، عقد مؤتمر في باريس شهدته الدولتان مع بريطانيا وفرنسا ، وقرر فيه جلاء جميـع القوات الافرنسية والبريطانيـة عن سورية في نهاية شهر نيسان، وعن لبنان في نهاية شهر كانون الاول ١٩٤٦ .

وهكذا ، وبعد نضال دام وكفاح مرير أعطيت نهاية حاسمة للانتداب البغيض وأسدل الستار على أبشع مسرحية استعمارية مثلها طغمة الافرنسيين على أرض وطننا الحبيب .

وتمّ الجلاء في السابع عشر من شهر نيسان سنة ١٩٤٦ في عهد شكري القوتلي فشعر السوريون بنشوة الحرية وعزة السيادة وأخذوا يهيلون التراب على الماضي الملوّث بآثام الاستعمار ويبنون كيان وطنهم الحر من جديد.

رجل قاد الامة
الى طريق المجد

* * *

الرجولة والعزم والتجرد والاخلاص ونكران الذات هي بعض صفات الرجل العظيم الذي تهيؤه الاقدار لقيادة الامة وبناء مجد الوطن .

وفي التاريخ عشرات الامثلة بل مئاتها ترمز الى الدور الخطير الذي يلعبه الرجل في تاريخ نضال الامم ..

ولا يزال الباحثون في حيرة عما اذا كان الرجل هو الذي يخلق الأمة ام الأمة هي التي تساعد على تكوين نهضات الامم .

وبدون انكار العاملين فيظل الرجل هو الذي ينفضج في روح الامة هذه الصيحات المتتابعة لتستيقظ وتجد وتعمل الى ان تتحقق امنياتها في السيادة والحرية والاستقلال ..

والأمة السورية اليوم تسير في طريق محفوفة بالمصاعب

ترجع الي تاريخها الحديث فتجده سلسلة طويلة من الجهاد الدامي لتكوين سيادة وخلق كيان ..

ولرجالاتها المخلصين المتجردين الفضل الاكبر في توجيه الامة نحو اهدافها السامية .

وقد كان « شكري القوتلي » وما زال هـذا الرجل الذي توفرت فيه كل الخصائص القوية لان يقود الامة الى طريق المجد

عمل مع صفوة من رجالات « الكتلة الوطنية » الى ان استطاع ان يصل بالامة الى هـذه المرحـله الحاسمة في تاريـخ جهادها الطويل (١) .

وكأني به يقول لـكل فرد : ان للاستقلال تبعاته ، وان الامم لا تتكوّن نهضاتها عبثاً ، ولا تقـوم سيادتها على هراء القول وشقشقة اللسان بل لا بدّ من العمل ، ومن التـآزر ، ومن البذل والتضحية في جميـع الميادين .

كأني بشكري القوتلي وقد استطاع ان يكوّن مع رفاقه عناصر هذه السياده ينادي بكل فرد ان يعمل باخـلاص ، وان يبذل بسخاء ، وان يحب هذا الوطن بايمان .

ان سورية تطلّ على الدنيا العربية بفكرة جديدة ـ فكرة « البعث القومي » أو بعث المجد العربي في جميـع اطراف الجزيرة

(١) كتبت هذه الكلمة سنة ١٩٤٥

ليتاح للعرب ان يلعبوا نفس الدور الذي لعبوه قديماً في تاريخ الحضارة الانسانية .

وما هذه المشاورات التي تقوم بها البلاد العربية غير ترديد للصيحات التي انبعثت من قلوب رجال آمنوا بفكرة هذا البعث .

واننا لنقرأ في بسمات الوجوه هذه الامنيات التي ينطوي عليها صدر شكري القوتلي منذ أمد طويل، منذ كان شاباً الى ان دلف الى الكهولة الفتية فكان لانتقاله من دمشق الى بغداد الى نجد الى الحجاز الى مصر هذا المعنى البليغ للتوجيه القومي في كل بقعة عربية الوجه والدم واللسان .

ويخال اليّ ان الرجل يحصد اليوم ما زرعه بالأمس .

فالفكرة العربية في مختلف اقطار الشرق العربي ، وفي المغرب العربي لم تعد ، والحمد لله ، غامضة .

انها من الوضوح بمكان عظيم ..

وان النفوس لتهفو اليها بشوق وتريد أن تتحقق قريبا الأمنيات الغالية وتعود بغداد ودمشق والقاهرة الى ما كانت عليه من السلطان القوي في سالفات الايام (١) .. اي ان يصبح السلطان العربي هو المسيطر على الدنيا في توزيع الحضارات وتجميلها بفنون الثقافات .

هذه احاسيس جميلة لا ريب فيها . . وللزمان حكمه . . وللفلك دورته .. كما ان للايام صولتها وللنفوس تكوّنها فهل

اعددنا العدة لكل ذلك ؟.. وهل في وسعنا ان نصهر نفوسنا في بوتقة جديدة للعمل المضني الشاق .

اعود فأقول : إن النهضات لا تتكوّن اعتباطاً .. وان سيادة الوطن لا تبنى على كوم الرمال بل لا بد من البذل والتضحية والعمل ..

وهـــذا ما يتطلبه شكري القوتلي ـ الرجل الذي اعطى للامة في جهاده الطويل ابلغ الامثال في التضحية والتجرد والاخلاص ونكران الذات ـ هذا ما يتطلبه من مواطنيه في هذا العهد الجديد .

ايمان الشرق بالغرب !

.. كان الشرق ، منذ مطلع القرن التاسع عشر ، يؤمن ايماناً قوياً باوروبا يؤمن بحضارتها ، وفنها ، وعلمها . .

وكان يراها صورة مثالية للقيم الروحية

وعلى ضوء هذه العقيدة أخذ الشرقيون يتجهون نحو الغرب ويعملون جهدهم للتطبّع بالطابع الغربي ، واقتباس كل ما لدى اوروبا من مظاهر واخلاق وخصائص وعادات حتى كادت تنصهر الكثير من عادات الشرق وخصائصه في بوتقة الغرب .

وجاءت الحرب العالمية الاولى .. وبدأ الصراع الدامي للكفاح في سبيل حرية الشعوب ..

علّقت الأمم الصغيرة آمالها بعدالة الغرب ، بل آمنت بها ايماناً راسخاً .. آمنت بعدالتها ايمانها بعلمها وفنها .

وانتظرت أن تنتهي الحرب ..

وقد انتهت ووضعت أوزارها كما يقول القدماء ..

وانتصرت الحريّة على الطغيان .

وأخذ المؤمنون بعدالة الغرب ينتظرون نصيبهم من ثمرة هذه الحرب بعد أن اصطبغت جوانب الارض بدماء الضحايا دفاعاً عن الحريّة .

وكان الشرقيون في طليعة المنتظرين ..

فماذا حدث ؟

لقد أفصحت الأمم القويّة عن نواياها ..

واذا هـــذه النوايا تريد ان تبتلع الشرق ، وان تستثمر خيراته ..

واذا معاني الحرية والعدالة والأخاء والمساواة في أوروبا غـيرها في بلاد الشرق ..

ومدلول هذه الكلمات عندهم غير مدلولها عندنا ! !

وان الحرية التي يتمتع بها الاوروبي ، على اوسع مـدى في بلاده، تنقلب عندنا على يديه . عبودية يفرضها على الشرق فرضاً .

وهكذا ، فقد ظهرت اوروبا بوجهها السافر ..

وعرف الشرق حقيقتها ..

فماذا كان من وراء ذلك ؟

لقد تزعزعت عقيدته ، وتقلّص ايمـــانه ، وخفّت حرارة حبه ..

ومع اعتقاده ، بان الشرق ما يزال متخلّفاً مئات السنين عن

اوروبا ـ أي عن علمها وفنونها ..
ولكن الحاجة الى علم الغرب شيء ..
والايمان بعدالة اوروبا شيء آخر

★ ★ ★

ومرّت هذه الفترة بين الحربين .
واتجه الشرق الى امريكا ..

اي أخذ ينزل القارة الجديدة من نفسه منزلة القداسة
لقد اصبحت اوروبا في نظره مادية جشعة لا تعرف معنى العدالة ، ولا الحرية ، ولا الرحمة..

همها القضاء على حريات الامم الصغيرة في سبيل توسيع نفوذها ..

اما امريكا .. وقد انتصرت للحرية في الحرب العالمية الاولى ، فهي القارة المثالية التي تتحقق عندها كل القيم الروحية
فهي ضد الاستعمار .. وهي نصيرة الأمم المظلومة . ولا مطمع لها في ارض أمة من الأمم !!

وانقسم العالم في الحرب العالمية الاولى الى معسكرين :
ديموقراطي حرّ يريد نصرة الحريات وصون حقوق الامم وتقرير مصير الشعوب .

وديكتاتوري متعسف يريد ان يبتلع الدنيا ويقضي على سيادة الامم وحريتها ..

وأخذت الامم الاوروبية التي هددت بسيادتها وحريتها تؤكد من جديد ـ وقد اقترب الخطر منها ـ أخذت تؤكد من جديد انها نصيرة الحريات . . وانها لا تخوض هـــذه الحرب للدفاع عن حريتها وسيادتها فحسب بل لنصرة الحريات في في جميـع اوطان الدنيا ..

وسارت امم الشرق وراء هذه الاحلام وفي قرارة نفسها هذه النوازع الخفية التي تقول ان اوروبا تخادع ، وان تغنّيها بالحرية ما هو الاّ لذرّ الرّماد .. وبالتالي فهي تريد ان تجمع حولها امم الارض لتنجو من الكارثة التي هددت سيادتها وحريتها ، بل هددت مصيرها وحياتها ..

وذهب الكثيرون الى ان امريكا دخلت الحرب دفاعا عن كرامتها من جهة ، وصوناً للحريات المهدورة من جهه اخرى .. وانها منزهة عن المطامع .. وعن جميـع النزعات الاستعمارية .. لا تريد الا اقرار السلام وإشاعـــة العدل في جميـع بقـاع الارض !! .

وانتهت الحرب الثانية بانتصار الديمقراطية ..
وكان للقنبلة الذرية القول الفصل في نهاية الحرب .
وأخذ العالم ينتظر هذه الفترة التي تتحقق فيها الوعود .

فعقدت مؤتمرات ، وتوالت الاجتماعات ، وأخذ الساسة يلقون مئات الخطب في تأييد حرية الشعوب . . ولكن جميـع

الاتجاهات دلّت على ان الاقوال التي يفوه بها الساسة هي غير ما هو مسطر في ضمير مطامعهم ..

وان للدول الكبرى اتجاهات غير الاتجاه الذي لوحوا به للبشر خلال فترات الحرب . .

واخذ المؤمنون بمثالية امريكا التي خاضت الحرب دفاعا عن الحريات ، ودفاعاً عن الديمقراطيات . . أخذوا يتساءلون ماذا سيكون موقفها مع الامم الصغيرة المغلوبة على امرها بعد الحرب .

واختلفت الآراء في الشرق نحو نوايا امريكا ..

أتخون رسالتها ؟

أتعبث بحقوق الشعوب ؟

أتكون أمعن بروحها الاستعمارية من انكلترا وفرنسا ؟

وانتظر العرب أن يجدوا عند امريكا الزعيمة المثالية التي ارتسمت في خيال ابنائه وابناء الشرق عنها . واذا بها تنقلب الى شر ما عمّر بخاطر انسان .. تنقلب تحت ضغط الاهواء الصهيونية الى جلاّد مخيف يريد أن ينقض بقواه الجهنمية على وداعة الطفل الصغير ..

نعم ، ان العرب لم يحتاجوا الى دليل لمعرفة طواياها ونزعاتها .. فقد جاء موقفها من العرب في كارثة فلسطين ودعمها الوطن اليهودي اكبر دليل على نزعتها الاستعمارية !..

هنا ، تقلّص ايمان الشرق من جديد بعدالة القارة المثالية ، ولم تعد هذه الامة التي تنتصر بغريزتها للحريات !

★ ★ ★

ان الايمان بالوثنية لون من ضعف المؤمن ..

وقد آمن الشرق بعدالة اوروبا ..

وآمن مرة ثانية بعدالة امريكا ..

ولكن الحقائق المجردة زعزعت من نفسه هذا الايمان الوثني !..

وبدأ ، بعد هاتين التجربتين الاليمتين ـ بدأ ينظر الى اوروبا ، والى امريكا نظرة جديدة ..

وهو اذ لا يجد اية غضاضة في ان ينهج نهجها في ميادين العلم والصناعة ، ويقتبس كل وسائلها المادية فقد قرر ان يرتدّ الى أعماق ذاته ينشد ايماناً جديداً :

ـ الايمان «بفلسفة القوة» لتكتب له الحياة الحرة والسيادة المطلقة ـ .

حرب فلسطين

***

منذ شهور ، والحرب محتدمة الاوار في الاراضي الفلسطينية بين عرب فلسطين ويهود العالم الذين جاءوا من مختلف أقطار الدنيا يريدون اغتصاب هذه الارض المقدسة من ابنائها وتأسيس دولة يهودية فيها !

وفي الخامس عشر من شهر أيار ، أي منذ أعلنت انكلترا انتهاء انتدابها وسقوط وعد بلفور المشؤوم ، وعلى أثر احتدام القتال بين قوات التحرير العربية والعصابات الصهيونية التي تساندها بعض الدول الكبرى لمآرب سياسية واقتصادية ـ اضطرت الحكومات العربية ان تبعث بقسم من قواتها النظامية للقضاء على الاجرام الصهيوني الذي أحال أرض المسيح شعلة من من نار ، وكومة من خراب ، وبركة من دم !

وقد ظن الصهاينة انهم باجرامهم المنكر ودعاواهم الباطلة مستطيعون تحقيق حلمهم الأسود ، وما علموا ان العرب انتقلوا من دور الكلام الى دور العمل ، وهذه هي أول مرة يحارب فيها المصري الى جانب العراقي ، واليمني مع السعودي ، والسوري اللبناني مع الاردني ، والليبي مع التونسي - يساندون جميعهم اخـــوانهم الفلسطينيين ويهرقون دمهم لانقاذ تلك الارض المقدسة .

واشتراك العرب جميعاً في انقاذ فلسطين العربيـة من براثن الصهيونيين لبادرة طيبة تعلن للعالم اجمع ان العرب ، في جميـع بقاع الارض ، يحسون احساساً واحـداً ويشعرون شعوراً واحداً ... شعور العزة والكرامة وصون أراضيهم من كل معتد أثيم مهما كان الثمن !

لقد ظل العرب مئات السنين في غفوتهم الطويلة لم يخوضوا حرباً من الحروب القومية .. واذا حاربوا فلفكـرة غامضة او لهدف لا يمت الى أهدافهم القومية بصلة ..

كانوا في العهد العثماني مسيّرين غير مخيّرين . . امـا اليوم فانهم يحاربون في سبيل فكرة مثالية . . ووراء هـدف قومي يحسه كل عربي ..

وهذا الذى جعلهم ان يلتقوا على صعيد واحد ليعلنوا للعالم ان « الروح العربية » لم ، تزل كما كانت قبل مئات السنين ، هي

هي : نور ونار .. ووهج وضياء ، لم تتبدل ولن تتبدل . ..

فقد تخبو زمنا ولكـــن لا تلبث ان تشتعل لتصبّ الحمم والبراكين على اعدائها المجرمين ..

الآن نستطيع ان نقول ان « الجامعة العربية » .. التي كانت بالامس القريب ، حلماً من الاحلام ـ اصبحت في هذه المحنة التي يواجهها العرب، حقيقة من الحقائق المثلى، والعظة البالغة من هذه المحنة هي اجتماع كلمة ملوك العرب ورؤسائهم [1] وصمود شعوبهم امام مطامع الدول كالجبابرة مرفوعي الرؤوس لا يعرفون حياة الذل والمسكنة التي اتصف بها اعداؤهم الجبناء .

١٩٤٨

---

(١) من المؤلم ان تنكشف خيانة بعض الملوك والرؤساء اثناء الحرب مما ضيع ثمرة الحرب واضاع فلسطين ..

المحنة الرهيبة

* * *

لا يشغل بال العرب ، في هذه الايام ، غير الكارثة الكبرى التي نزلت بفلسطين ، فما عرف العرب في تاريخهم الطويل مأساة نزلت بهم كهذه المأساة ، انها في نظري ادهى من مأساة الاندلس ، ففي الاندلس ذهبنا فاتحين لنشر رسالة وقد انشأنا حضارة مزدهرة الفنون لا تزال تشع عبر الاجيال ، ثم انغمس الملوك والامراء باهوائهم وشهواتهم وانصرفوا عن مفاهيم الرسالة فكان الانهيار ، واستردّ ابناء البلاد بلادهم - وهذا امر طبيعي - أما في فلسطين ، فالامر بالعكس ، فقد مهدت انكلترا لفئة من شذاذ الآفاق ان يحلموا « بوطن قومي » ، وما زالت تمهد لهم حتى جعلت من هذا « الحلم » الأبتر « حقيقة » مشوّهة .. واذا بالدولة المشؤومة تتكوّن في ظروف جدّ غريبة - نتيجة لمؤامرة دولية رهيبة ، واذا بالاجرام الصهيوني يبلغ ذروته . واذا فلسطين العربية تصبح شبه يهودية ، ودعك من

احتلال المدن العربية ، وحرق القرى والدساكر . ونهب البيوت والاموال ، والاعتداء على الاعراض ، وبقر بطون الحبالى ، وثمل عيون الشيوخ والاطفال مما لم تعرفه أحطّ الامم همجية في احلك عصور التاريخ ـ دعك من هذه المخازي التي اقترفها الصهاينة على مرأى ومسمع أسيادهم الانكليز والاميركان ـ حماة الانسانية في هذا العصر ـ !

واذكر الكارثة الكبرى بهذه الهجرة الاليمة ـ هجرة مليون عربي من بلاد آبائهم وأجدادهم ..

ماذا ؟

مهاجرون اغراب ظلوا الفي سنة تضطهدهم الامم ، وتتقاذفهم الاقدار يصبحون مواطنين ، ويصبح أصحاب البلاد الاصليين مشردين !!

أين عدلك يارب ؟

ان هذه المأساة الرهيبة هي أول مأساة تنزل بالعرب في تاريخهم الطويل ..

وهي مأساة بدأ فصلها الاول بهذه المناظر الدامية ، ولا يعلم الا الله كيف ستنتهي ، ففصول هذه المأساة لم تكن نتيجة حرب مع مجرمي اليهود بل مع الدول الكبرى التي مدّت هذه العصابات بالسلاح والعتاد لتكون ركيزة لمطامعها الاستعمارية في الشرق العربي كله ...

فما هو موقف العرب من هذه النكبة الكبرى ؟

أنكتفي بالعويل والصراخ ، وبالمظاهرات والاحتجاجات ، وبالجلسات السرّية والاجتماعات العلنية، يعقدها الملوك والرؤساء، ثم بتوزيع الاتهامات على هذا وذاك ...

والاستعمار الانكلو ـ اميركاني يريد ان يطوّق الشرق العربي ـ مصدر الخيرات ومنبع البترول ـ بسلسلة من عبوديته وقد أعد العدة الكبرى لهذا اليوم المشئوم بعد ان أحكم المؤامرة بلباقة ودهاء فكانت النتيجة هذه النهاية المحزنة التي انتهينا اليها .

لقد انبعثت صيحات صارخة من أعماق الشعوب العربية تدعو لاستئناف القتال مهما كان الثمن ، ومهما كانت الضحايا لتقويض اركان هذه الدولة الباغية التي كونتها عناصر المكر والاخاديع والاجرام . . فهل ستذهب هذه الصيحات بدداً ؟

ان في عنق كل عربي واجباً مقدساً للعمل ، اريد البذل والتضحية بالمال والأنفس ـ لانقاذ هذه البقعة المقدسة من الصهيونيين المجرمين .. فمنظر الضيوف الفلسطينيين الذين لجأوا الى ديار العرب ليدمي كل قلب ، ولن يهدأ لنا بال ما لم يعودوا الى بلادهم مكرّمين وقد طردوا هذه الحثالات وأذاقوها صنوف الآلام والتعذيب . .

فمتى يحين هذا اليوم ؟
نرجو أن لا يطول أمده .

- ٢ -

عندما تقع الكارثة تكثر الاتهامات . . هذا هو شأننا في كارثة فلسطين . . ففي المجتمعات والاندية وعلى لسان الجميع همسات صارخه واتهامات منكرة لبعض الرجالات المسؤولين لتهاون بعضهم وانصياع الآخرين لقرارات مجلس الامن بقبول الهدنة الثانية التي كانت اكبر « بلفة » سياسية مهدت للاستعمار الانكلو اميركان وللبهود ان يوطدوا اقدامهم ويفرضوا نفوذهم على هـــذه البقعة الغالية من ارض العرب . . وقد أ بحت العصابات الصهيونية تملي ارادتها وكأنها صاحبة الحق الشرعي في البلاد ، واستطاعت « اليهودية العالمية » بحيلها ومكرها وبما أنفقته من المال لشراء ضمائر الافراد والأمم ان تجعل من باطلها حقاً فخذل العرب في بلادهم نتيجة لهذه المؤامرة الدولية الدنيئة التي جعلوا منها وسيلة لقهر العرب واذلالهم في عقردارهم وفي اعتقادي انه ليس الآن وقت توزيع التهم والتفاخر بالبذل والتضحية بل واجبنا ان نعمل وان نعمل بصمت الى ان تتبدد غياهب هذه الكارثه الكبرى التي انتشرت ظلماتها الكثيفة في سماء كل بلد عربي . . .

لقد أصبح من الامور الواضحة الجلية ان للصهيونيـة العالمية مطامع واسعة في الشرق الاوسط وفي البـــلاد العربية،

بصورة خاصة ، وقد أتيح لها ، بعد عمل غير منقطع خلال نصف قرن كامل ان تحقق شطراً من حلمها الاسود ، فهي تهدف لا الى السيطرة على جزء من فلسطين بل على البلاد العربية كلها ، ففي المؤتمر الصهيوني السادس الذي رأسه هرزل أحد أقطاب الصهيونية اتخذ الصهيونيون قرارات على جانب عظيم من الخطورة ، وكان اظهر هذه القرارات :

١ — ابتياع فلسطين من الحكومة العثمانية .

٢ — انشاء دولة اسرائيل وجعل حدودها من السويس الى الفرات .

٣ — تنظيم هذه الدولة سياسياً واقتصادياً وجعلها الوسط الطبيعي بين الشرق والغرب والحارس اليقظ على طريق الهند ..

كان يعمل اليهود لهذه الاهداف منذ زمن بعيد ، وما زالوا حتى استطاعوا ان يحققوا بعض هذه الاهداف التي قابلناها بالهزء ، ثم بهذه الحرب الارتجالية فكانت الكارثة الكبرى التي أيقظت العرب من غفوتهم — ولكن بعد فوات الوقت — فهل استيقظنا حقاً ؟ وهل وطدنا النفس على العمل والعمل الطويل لتقويض اركان هذه الدولة المزعومة والقضاء على هذه الاهداف التي لا تقف عند فلسطين بل تتعداها الى جميع البلاد العربية ؟

جواب ذلك عند ضمير المسؤولين وعند « الرعيل الاول »

من زعمائنا المخضرمين !

أيها الشباب :

ان في عنقكم واجباً مقدساً وهو أن تعملوا بروح جديدة ، وبنزعة حرة ، وبتفكير يختلف كل الاختلاف عن تفكير « محترفي السياسة »

علينا ان نصطنع مبدأ القوة في الحياة .

هذا هو مذهب العصر الحاضر ، وان نعمل بنفس الطرق التي مارسها عدونا والا كتبتم بأيديكم ، أيها الشباب ، وثيقة موت هذه الأمة ، وهذا ما نعيذكم منه وأنتم الأمل المعقود عليه الرجاء في هذه الأزمة العصيبة التي تجتازها الامة العربية في هذه الفترة من تاريخها الحديث .

***

عظة الخيمة

اللاجئون في ضيافة هيئة الامم !!

* * *

في جون الاحـــداث وفي ظلمة النكبات يعرف الانسان مدى عزيمته ومدى تحمله للصدمات ... وفي التاريخ حوادث كثيرة عن حيوية الامم ومدى تحملها لما ينتاب أفرادها وجماعاتها من كوارث ونكبات . فمنها من تصبح أثراً بعد عين منـــذ الصدمة الاولى ، ومنها من تكافح وتناضل عبر القرون مهما نزلت بها الكوارث وهزتها الاعاصير . وقد مرّ بالامة العربية في تاريخها الطويل ، الكثير من الاحداث فما فقدت في يوم من تلكم الايام ، هذه الحيوية اليقظة التي تستمدّ عناصرها من سيرة أبطالها الذين كان لهم في تاريخ البطولات والأمجاد شأن وأي شأن ... ولا أريد أن أسرد قصص التاريخ — تاريخنا القديم في أمجد صفحاته وتاريخنا الحديث في أعوص مشكلاته

بل حسبي ان اقف وقفة قصيرة من هذه النكبة الدهماء التي واجهت العرب في يومنا هذا .

فالواقع ان العرب يواجهون اليوم أعوص مشكلة مرّت بهم في تاريخهم القديم والحديث معاً، ويواجهون خصماً حشد كل قواه المادية والمعنوية منذ عشرات السنين لهذا اليوم المشؤوم ، ومع ذلك فأريد أن أعتقد — ولست من المتشائمين — ان العرب لن يخسروا قضيتهم ، وان حيويتهم قد ازداد اشعاعها وازدادت حرارتها وقد تنبهوا لأشياء كثيرة وأصبحوا اكثر يقظة وأشد مضاء وحيوية في نضالهم الدامي المرتقب . وقد ظهر لنا جلياً ، في هذه المحنة السوداء، ان اعدائنا ليسوا اليهود فقط بل هذه الأمم الكبيرة ذات المطامع الاستعمارية الصارخة التي تتصارع باسم المباديء الانسانية ليكون لها السيطرة على البلاد العربية لمئة سنة اخرى و لأكثر .

وقد استفاد اليهود من هذا الصراع ؛ ومن هذه المطامع فاستطاعوا ان يظفروا بما يحقق لهم بعض أمنياتهم — هذه الأمنيات الباطلة التي ستنهار قريباً مهما حاولت المطامع الاستعمارية ان تدعمها ، فقد أجمع الكثيرون من كبار ساسة الغرب المنزهين عن الاغراض ان قيام هذه الدولة المزعومة ، في هذه البقعة العربية ، امر غير طبيعي ، وانها تتنافى والنفسية اليهودية التي عاشت طوال القرون على الذل والخنوع والتنابذ والتخاصم

والحرص على الربح الحرام بأي ثمن كان .

نعم ، ان اليهود قد أفادوا من هذا الصراع وافادوا اكثر من ضعف « القيادة العربية » التي قبلت الهدنة الاولى فكانت الكارثة الكبرى التي ادّت الى احتلال شطر كبير من أراضي فلسطين وتشريد مليون عربي يعيشون عيشة الشظف والبؤس والحرمان؛ وقد كان لهذا الحادث المؤلم أثره في النفسية العربية. فما من عربي ، في مشارق الارض ومغاربها ، الا وقد صدمه هذا الحادث الجلل ، واننا لنقرأ كل يوم ، على هامش هذه النكبة ، عشرات الحوادث المؤلمة ، المثيرة ، التي تدمي لها القلوب ، فتهزنا وتثير اعصابنا ،وقد يثور ضميرنا ولكن للحظات ثم نسكت على مضض لتخاذل الزعامات الخاوية ذات الأثواب المهلهلة واهتمامها بالعرَض دون الجوهر ،وبالقشور دون اللباب..

لست أريد ان أقول ان الاتهامات تكثر حين تقع النكبات .. فللمؤرخين ان يسجلوا غداً أعراض هذه النكبة وأن يحددوا المسؤوليات ، بل أريد — والحديث يتناول مأساة الضيوف المشردين — ان انتقل من هذه الخواطر المبعثرة الى خبر قرأته في الصحف منذ اسابيع ، وقد قرأه الكثيرون غيري بصدد معونة اللاجئين .. ولا أعلم كيف وقع هذا الخبر في نفوسهم ، أما أنا فقد أثارني وأبكاني — أريد به تبرع منظمة الأمم المتحدة بآلاف الخيام لاخواننا اللاجئين بمناسبة اقتراب

موسم الشتاء... لقد وقفت من هذا « العطف الانساني » يجود به أبالسة الاستعمار موقف المتألم المشدوه ... فالخيمة عدة العربي في بداوته ، وهي رمز تنقله في صحراوائه المحرقة ، أو هي بيته الوادع الامين في مشتاه ... ولا يزال العربي عند الغربي هذا البدوي ابن الصحراء ، فلما أراد مؤاساته ، في هذه النكبة الكبرى التي كان سببها ، لم يجد لديه أفضل من « الخيمة » . وكأني بأبالسة الاستعمار الذين يعرفون الكثير عن تطور الشرق العربي وتطور أبنائه قد أرادوا بهذا العطف الكاذب أن يصوروا العربي تصويراً بشعاً فيه الكثير من الزراية بالكرامة العربيه ، وبذلك يدعمون بصورة غير مباشرة الدعاوة الصهيونية التي تصور العرب للامريكيين وللاوروبيين انهم قوم حفاة ، عراة ، بعيدون كل البعد عن مظاهر المدنية . وان حياتهم لا تعدو العيش في العراء كما تعيش قبائل افريقيا والشعوب التي لا تزال في بداوتها الاولى ...

ولا أعرف كيف غفل زعماؤنا عن هذه الوخزة الأليمة ، وكانت الفطنة تقتضيهم ان يردوا هذا العطف الكاذب بدلاً من ان يتقبلوه بالشكر والامتنان . وقبولهم هذه الخيام — هو في نظري — آية الغفله والغباء ، ما اعيذ منه زعماؤنا الذين يعرفون ان العرب قد فتحوا بيوتهم وقلوبهم لاخوانهم الفلسطينيين وستظل هذه البيوت والقلوب مفتوحة الى ان تحين

الساعة التي تقوّض فيها اركان الدوله الموهومة على رؤوس ويزمن وشرتوك ومن اليهم من زعماء العصابتين المجرمين ..

وكأني بالاوربي المستعمر ذي القلب الحجري الصلد كأني به يخاطب العربي بقوله : انك لست أهلاً لهذه المدنية ، فقد جئت من الصحراء وعليك ان تعود الى الصحراء ، أي ان تعيش تلك الحياة البدائية الاولى . وأن تتخلى عن حضارة القرن العشرين لأناس اصبحوا منها في الصميم ...

هذا هو المغزى الحقيقي لهذه الهبة ... وبقدر ما آلمني هذا التبرع يجود به الغربي المستعمر ذو القلب الحجري الصلد بقدر ما سررت له ...

قد يقول القارىء ما هذا التناقض ؟ ولكن لا .. فلن اترك القارىء في حيرته . . فاني لأود من الصميم ان تعود للعربي الذي يعيش اليوم في صميم الحضارة تلك الصفات النادرة التي كانت للعربي الذي خرج من صميم الصحراء وافتتح الدنيا بقوة عزيمته وصدق ارادته . ولن يشين العرب انهم نشأوا في الصحراء ، فمن وهج الصحراء حملوا الى العالم رسالة جديدة لا يزال نورها يشع حتى اليوم ، ولو ان للعربي اليوم نفس تلك العزيمة التي كانت لاجداده الذين نبتوا من قلب الصحراء لما وقعت الكارثة ...

هذه هي العظة التي أردت أن أستخلصها من هبة الخيام ...

وانها لعظة ذات مغزى عميق.. فالواقع، اننا اليوم في أشد الحاجة الى نفسية ذلك البدوي المغامر الذي افتتح الدنيا بصدق عزيمته وقوة ايمانه. والشباب مدعوون للكفاح بنفس تلك العزيمة وذلك الايمان .. ومدعوون لان يلعبوا نفس الدور الذي لعبه اجدادهم في الماضي .. ولا عبرة لهذه المحنة القاسية التي مرّت من أفق حياتنا فهي زائلة قريباً . . وزوالها يتوقف على صدق عزيمتنا واخلاصنا واطراح دور الكلام ، والعمل منذ الساعة بجد ويقظه وحذر وبنفس العقيدة التي يعمل بها العدو الذي لم يترك وسيلة من الوسائل الا اصطنعها في سبيل « باطله » بينما شغلنا عن « حقنا » بالتوافه والمظاهر والاوهام !

لا تيأس..

من رسالة الى صديق

... لا يا صديقي ، لا تغمغم ، بل اريد ان تصارحني بما يجول بفكرك ، ودعك من الاحاديث الملتوية ، ولتواجه الحقائق بجنان ثابت ، وببحث الأسباب والمسبّبات: هل الخذلان والانهيار مدعاة لليأس ، انك تتألم . أعرف ذلك ، وانا اتألم مثلك ، بل ان قلبي ليقطر دماً .هذا هو شعورنا جميعاً حين نتصور هول الكارثة التي نزلت بأقدس بقعة من بقاعنا المقدسة ولكن من المسؤل ؟ نحن أم هم ؟ ودعك من الحديث عن الاصدقاء الألدآء .. ولا تتحدث عن خفايا السياسة ومقاصد الساسة من الاستعماريين وعبيد الاستعمار ، فلا اريد ان اتحدث عن شيء اصبح مكشوفا ، ودع الكلام عن خصمنا الدنيء وان كان لا بد من ان تكثر الاحاديث عنه الى ان يقضى عليه نهائياً .. ولنبحث عما يحيط بنا .. عن المسؤلين الذين كانوا سبب الكارثة .. لقد عشنا فترة غير قليلة في حيرة وتردد .. ننعم بأمجاد الماضي ومفاخره المقدسة اكثر من بحثنا عن « الواقع » .. انا لا انكر ما لماضينا من قداسة ولكن من واجبنا ان نواجه الحاضر بواقعه الأغبر . والآن ما علينا الا

ان نفيد من هذه الأحداث التي مرّت بنا ،ولنقرأ دروسها ذات العبر بامعان ، ولنعمل جادّين للمستقبل القريب ، اننا نعيش في عصر طغت فيه المادية على الروحانية . وقد عشنا عشرات القرون في ظلال الروحانية المشعة حتى اصبحت الروحانية في دمنا ودم اولادنا وأحفادنا .. اننا انسانيون بأدقّ ما في هذه الكلمة من شمول .. ولكن هذه النزعة الخيّرة لم تعد صالحة في عهد السيطرة والاصطراع .. لا بدّ من ان نصطنع مذهب القوة في الحياة .. هذا هو مذهب العصر الحاضر .. يجب ان نؤمن ايماناً قوياً بحقنا ، بوجودنا ،بكياننا ،يجب الا نسرف في توزيع الاتهامات وان نكف عن البكاء ، فدموعنا ، في الواقع ، قطرات دم ، فلنحتفظ بهذا الدم لنسكبه حاراً في تلك البقعة المقدسة .

لا تيأس يا صديقي ولا تتألم ، فاليأس سلاح المستضعفين ،بل واجه مشاكلك السياسية والقومية بقلب صلد ،وبابتسامة صافية، تمتّع بأجمل ما في الحياة من مباهج ، وخذ من لذاذاتها هذا الحافز الذي يجعل منك قوى بركانية تقذف النيران والحمم في وجه عدوك .

هذه كلمتي اليك يا صديقي ، وسلام على روحك القوية التي اطرحت اليأس والبكاء منذ هذه الساعة في تاريخنا الذي يقتضينا ان نكون اقوياء ، وان نفيد دروساً جديدة من الأحداث التي واجهتنا والسلام .

ابراهيم هنانو

***

الفترة التي انقضت عقب انهيار عرش فيصل في سوريا ، كانت فترة مليئة بالعبر ، فاضت حواشيها باليأس الحالك بعد ان ازدهرت بالأمل الباسم ، فقد دخل الافرنسيون بنزعة الفاتحين المتسلطين؛ وسياستهم التي بسطوا ظلالها القاتمة هي السياسة الاستعمارية التقليدية التي فرضوها في الجزائر ومراكش وتونس والهند الصينية، وفي كل بقعة دخلوها باسم الحماية والتمدين، اما الوصاية التي فرضتها عصبة الامم ، ونظام الانتداب الذي دللوا به ،ومبادىء ويلسون . ومساعدة الامم الصغيرة للتدرج في طريق الحرية لتأخذ نصيبها من الحياة الحرة الوادعة فهذه الفاظ مسولة ارادها المستعمر ليسدل ستاراً على سياسته الباطشة التي كانت تستهدف « فرنسة » هذه البلاد ومحو كل أثر من كرامتها القوميه وعزتها الوطنية .

ولقيت سوريا خلال هذه الفترة اياماً محلولكة السواد ،

بغيضة ، قاتمة ، فمن حدٍّ للحريات ، الى تعطيل للاجتماعات ، الى اتهامات ، لي فرض غرامات ، الى احكام عرفية جائرة ، الى نفي ، الى تشريد ، الى تعذيب قسري ، الى غير ذلك مما يشكل سفراً اسود في تاريخ حكم فرنسا لهذه البلاد .

وكانت الامة تنظر الى هذه السياسة الاستعمارية البغيضة بقلب واجف ، ونفس قلقة مضطربة ، وقد ران الخوف على كل انسان ، وعقد الذعر كل لسان عن النطق والبيان ، حتى كان الحديث بين الأخ واخيه بالهمس خشية العيون التي كانت لا تتورع عن قذف الاتهام بالحق وبالباطل وكان اقل ذنب لمن يقع فريسة هذه الاتهامات السجن مدى الحياة مع مصادرة املاكه وتشريد عائلته ..

هذه هي الايام التي عاشتها سوريا في تلك الفترة التي أعقبت انهيار عرش فيصل في سوريا .

وكانت «فرنسا» قد خرجت من تلك الحرب ظافرة ، لا كما كانت عليه خلال الحرب العالمية الثانية ، أي قد حاربت اربع سنوات كاملة دون ان تهين او تضعف او تتخاذل ـ فكان لها كلمتها ، وكان لها جبروتها التي فرضته على سوريا الوادعة الجميلة .. وانتهى الرأي عند الكثيرين ان مصير سوريا قد أصبح في قبضة القدر ، استغفر الله ، بل في قبضة الاستعمار الذي لا يرحم ، وان الاستقلال الذي ذاقوا حلاوته مدة شهور تسعة قد اصبح

حلماً من الاحلام ، وقد لا تتمتع الامة ببريق نوره وسنا جلاله الا بعد مئات السنين ؟

هكذا دخل اليأس الى قلوب الكثيرين ..

ولكن رجلا وادعا ، دقيق التكوين ، لا تفارق الابتسامة ثغره ، كأنه من الاشباح قد أراد ان يفسد هذه النظرية ، واراد ان يبقى للأمة أملها ، وان يقضي على هـذا اليأس المميت الذي ران باجنحته السود على القلوب ، وكاد يقضي على النفوس هذا الرجل «ابراهيم هنانو» فقد كان رحمه الله ، رجلاً ليس كالرجال ، انقلبت وداعته ورقته وابتسامته الى ثورة عاتية ، انقلب هذا الشبح الوادع ذو الابتسامة الساحرة الى عصب من نار ، لقد اضطربت امواج الأثير بنبأ انقسم ، الناس بين تصديقه وتكذيبه : وهو اعلان ابراهيم هنانو الثورة على الافرنسيين !

كيف ؟ أصحيح هذا ؟ من يجسر ان يقف امام أكبر قوة تعززها اعظم دولة ولا عتاد لدينـا ، ولا سلاح ، ولا تنظيم ، ولا نظام .

وراح الناس يتساءلون : ما لهذا الطيش يقوم به هذا المجنون ؟ ما الذي تستطيع ان تفعله العصابات ، وهي شرذام متفرقة ، مع حملة منظمة من جيش مدجج بالمدافع والطيارات ؟

اما القلوب المؤمنة ، والنفوس المطمأنة فقد شارفها بصيص الأمل ، وراح رفاق هنانو يقولون بروح الثقة العارمة لئن ذهب

استقلال فيصل فان استقلالاً جديداً سيولد من جديد على يد هنانو.

كانوا يقولون هذا مع علمهم بفشل هذه الثورة ، ليؤكدوا أمرين :

الاول : القضاء على روح اليأس الذي كاد يميت روح الامة ومعنوياتها .

والثاني : عدم الاعتراف بهذا النظام البغيض ـ نظام الانتداب والاستعمار ـ الذي فرض على الامة فرضاً .

كانت هذه الفئة قليلة، ولكن كانت الأمة كلها من ورائها، وبدأ القتال في تلك البقعة التي نشأ في ظلالها ابراهيم ، وفي البقاع الملاصقة لقريته الوادعة الحالمة (كفر تخاريم) وصبّت النار على هذه القرية وعلى اهاليها ومن جاورهم ، وزج اكثرهم في السجون، وصودرت اموالهم ، ونهبت قراهم ، لا لشيء الا لان ابراهيم هنانو من كفر تخاريم واخذت ثورته تمتد الى الاطراف ، واخذت فرنسا تجهز الحملة اثر الحملة ، ويشاء الله ان يكون الفوز دائماً لهذه الفئة القليلة التي استطاعت ان تشغل فرنسا سنة وبعض السنة ، ولكن هل كان بوسع ابراهيم ان يتغلب على هذه الجيوش التي أعدت للقضاء عليه .. لا .. لقد انتصرت فرنسا على ثورة ابراهيم بعد ان اضاعت الكثير من جنودها وعتادها ، واذاقت الاهالي الكثير من بطشها وجبروتها . . نعم . انتصرت فرنسا المدججة بالسلاح على ابراهيم ورفاقه ، ولكن المغزى الحقيقي الذي اراده ابراهيم من ثورته هو ان يثير في النفوس الثورة

الكامنة على المستعمر ما دام مسيطراً ، وكان يعلم في قرارة نفسه ، ان مئات السنين في حياة الشعوب كعشراتها في حياة الافراد ..

واستطاع بعد ثورته المسلحه الدامية ان يوقد في قلوب السوريين اجمع شعلة مضطرمة الاوار ظلت متقده عشرين عاما كاملة ، ولم تنطفأ حتى تحررت البلاد من آخر ظل للاجنبي

لقد حوّل ابراهيم هنانو يأس الأمة الى أمل ، وأثار في نفسها معاني العزة والكرامة والثورة والتحرر ومن ثورته هذه ـ وهي اولى الثورات التي قامت في سوريا ـ ولدت عدة ثورات ، وكانت الثورة الكبرى في جبل الدروز ، وفي غوطة دمشق، وفي كل بقعة من بقاع الوطن امتداداً لثورة هنانو ، وما زالت الامة تكافح وتناضل ،على هدى اول ثورة قامت بضواحي حلب . الى ان بلغت ما بلغته الآن من امتياز باسمه وعهد استقلالي حر .

نعم ، من بريق تلك الثورة الحمراء انبثق هذا العهد الجديد ، وهكذا استطاع ابراهيم هنانو ، الذي اطلق اول رصاصة في صدر الاستعمار ، ان يهيأ الجيل الجديد لان يثور دائما على الظلم ، وان يتمرد على الطغيان ، وان يكون اداة حية للحرية الباسمة التي لا عيش لامة بدونها ..

تشرين الاول ١٩٤٥

مصير الجامعة

★ ★ ★

.. ما مصير الجامعة العربية وما سيكون امرها غداً ؟

اكثر من كاتب تناول هذا الموضوع بروح يائسة وانتهى الى ان المسئولية الكبرى ، في قضية فلسطين ، تقع على عاتق « الجامعة العربية » !

وفرق كبير بين الجامعة كفكرة وبين الذين لم يؤمنوا بحقيقة الفكرة ولم يحسنوا تمثيل اهدافها . فالمسؤلية ، في اعتقادي ، تقع على الرجالات المسؤلين ، وبالأخص على الزعماء الذين كانوا يخادعون الشعب بتصريحاتهم الخاوية و « قراراتهم السرية » التي ألمعوا الى خطورتها ، في شتى المناسبات ، حتى اذا جاء وقت اعلانها كانت ، ويا للاسف ، « حبراً على ورق » !!.

أما ان نتجنّى على « الجامعة العربية » ونقول انها كانت سبيل الفشل فهذا قول لا يقوله الا غبي او جاهل او ذو غرض !..

ونكون قد هدمنا ، في الوقت نفسه . فكرة طالما نشدها العرب منذ عشرات السنين ! نعم ، ان « الجامعة العربية » فكرة مثالية طالما نشدها العرب ، منذ عشرات السنين ، وقد أصبحت اليوم حقيقة راهنة ، ونواة طيبة لتحقيق اهداف العرب ، اي تحقيق امبراطوريتهم الكبرى ..

ولئن فشل رجال السياسة اليوم ، واهتموا بالقشور دون اللباب ، واتخذوا اجتماعات الجامعة وسيلة لمظاهر كاذبة ولم يستطيعوا ان يفيدوا من « واقعها » القوي فان الشباب غداً ، اريد رجال الغد ، سوف يعرفون كيف يفيدون من « واقعها » واهدافها وهذه الاخوة المشتركة بين جميع ابناء العروبة ..

فالجامعة اليوم ، هي البداية الجميلة التي ترمز الى وثبة العرب ، ولا بدّ لهذه البداية من ان تنتهي الى تحقيق الوحدة الكبرى . .

واني لمؤمن كل الايمان بان مصير الجامعة غداً ، بالرغم من يأس الكثيرين ، وفشل الزعماء والسياسيين ، سيكون احسن منه بالامس ، ذلك ، لان فكرة الجامعة العربية قد اصبحت حقيقة واضحة في ضمير الجيل الجديد ـ الجيل الذي نريده ان يعمل بعقلية يقظة تستمدّ قوتها من الواقع لا من اهواء الخيال !

اما اليائسون الذين لا يعرفون غير النواح والشكوى والبكاء فأريد ان اقول لهم ان لا تجعلوا الهدم ديدنكم اذا كنتم لا تستطيعون البناء !

٩٤٨

اصدقاء العرب

لا يعدم العرب اصدقاء يتحرون الحقيقة ويعلنونها سافرة لوجه الحق والانصاف والوجدان ... فقد قرأت في احدى الصحف ان الكاتب الاميركي « جون بيتي » اخرج كتابا فضح فيه السياسة الاميركية ازاء الدول العربية في حرب فلسطين ، وأزاح الستار لاول مرة عن حقائق هذه السياسة .. ولعل أظهر ناحية عرض لها الكاتب قوله : ان قائد القوات اليهودية في حرب فلسطين كان اميركياً يدعى « دافيد ماركس » وكان في الحرب العالمية الثانية برتبة كولونيل ، وان سبعة آلاف جندي اميركي اشتركوا في حرب فلسطين ، فكانوا الى جانب الصهيونيين ضد العرب !. وان هذه النجدة الكبرى كانت بايعاز من الطيب الذكر الرئيس ترومان !

ويقول الكاتب الاميركي الحر ان « دافيد ماركس » حين لقي مصرعه على ايدي المصريين بالقرب من القدس ارسل ترومان خطبة مؤثرة رثاه فيها وأشاد بجهوده في الحرب وتضحيته في سبيل انشاء دولة اسرائيل!

ولم يكد يظهر هذا الكتاب الذي فضح مخازي السياسة الاميركية ضد العرب حتى احدث ضجة كبرى في الولايات المتحدة وفي الدوائر اليهودية العالمية انتهت بمصادرة الكتاب في اميركا واسرائيل معاً !

ولا اعتقد ان الكتاب قد صودر في البلاد الديموقراطية وان كان ذا مساس بسمعة ترومان رئيس الجمهورية آنئذ ، ولكن الذي اعتقده ان الصهيونيين كعادتهم في ستر الحقائق ، قد ابتاعوا كميات هذا الكتاب وأتلفوها . وهذه عملية قد درجوا عليها مع كل كتاب تقذفه المطابع ويكون ذا مساس بنشر مخازيهم .. وقصة كتاب هنري فورد ضد اليهود اشهر من ان تذكر ..

فما أحوج العرب ان يعرفوا لهذا الكاتب الاميركي الحر قدره وان يعملوا على طبع مئات الالوف من هذا الكتاب ونشره في مختلف اقطار الدنيا .

وهذا العمل ، في اعتقادي ، هو اكبر دعاوة يقوم بها العرب نحو قضيتهم ونحو فلسطين بصورة خاصة .. وبذلك نكسب الكثير من احرار العالم الى جانب قضيتنا التي يعمد المستعمرون على تشويه جمالها .

تشاؤم ترومان !

* * *

استمعت الى الخطاب الذي القاه الرئيس ترومان قبيل ان يترك منصب الرئاسة في « البيت الابيض » .. وقد تضمن عرضاً شاملا لسياسة العالم وللاعمال التي تمت خلال عهده .. ولم اهتم للنواحي السياسية والاقتصادية التي عرض اليها ، ولا الى القنابل

المدوية التي قذف بها عالم ما وراء الستار الحديدي ، والآمال التي علقها على اتحاد دول اوروبا وعلى تضامن العالم الحر ، وما قامت به امير كا من مؤازرة بورما واندونسيا والفيليبين والهند والباكستان وليبيا وهي تضم ستمائة مليون نسمة ـ بما فيها اسرائيل ابنته المدللة ـ على نوال استقلالها !.

اقول لم اهتم للنواحي السياسية والاقتصادية التي جاءت في صلب خطابه ، فخطب السياسيين ـ اريد اكثرها ـ تكون بنت المناسبة ، فهي تحدث اثرها في التو واللحظة ثم تصبح كالفقاقيع ولكن فقرة في الخطاب لفتت نظري حين تحدث عن القنبلة الذرية وأثرها المريع في تهديم حضارة القرن العشرين، وكأني به أراد ، في جملته هذه ، ان يربط بين نهاية رآسته وبين نهاية العالم .

قال الرئيس ترومان :

« .. منذ الآن فصاعداً .. لقد دخل الانسان في عصر جديد من الطاقة التدميرية التي باستطاعتها ان تخلق انفجارات من طراز جديد تكون الغيوم التي حدثت في هيروشيما ونكازاكي كالاقزام بالنسبة اليها .

« ان حرب المستقبل ستمكن الانسان من ابادة ملايين الارواح في نفخة واحدة .. ومن تهديم اعظم مدن العالم ومحو ما ورثناه من ثقافة الماضي وهدم حتى المدنية التي استمررنا في بنائها خلال الاجيال ببطء وجهد مضنٍ !

اتكون نهاية العالم ـ في ضمير ترومن ـ قد دنت ، وان الساعة قد اقتربت ـ كما يقول رجال الدين ـ لا اعلم !

اللهم انقذ العالم من رعونة السياسيين ، فقد كفى ما لاقته البشرية من ارزاء وكوارث خلال الحربين المنصرمتين ! فالعالم لا يريد ان يشهد حربا ثالثة تهدم في لحظات حضارة القرن العشرين انسياقا وراء مطامع الاستعماريين الجشعين !

فقر وعوز ، لؤلؤ وبترول :

★★

قرأت منذ ايام مقالاً لكاتب زار منطقة البحرين فوصف مظاهر الحياة عند شعبها وامرائها ، ووصف ارضها وبحرها وسماءها .. كما وصف لؤلؤها وبترولها وطرق استخراجها وانتهى الى ما يلي :

« لقد دهشت وعجبت لما لمسته في جزر البحرين من مفارقات غريبة ومتناقضات عجيبة ! واعجب منها واغرب ان يتمشدق الكثيرون فيسميها « عروس الخليج » تلك العروس الغالية الموزة التي تنتج من البترول ما قيمته عشرة آلاف جنيه من الذهب كل يوم ، والتي تدر سواحلها من اللؤلؤ ما يقدر سنوياً بعشرة ملايين من الجنيهات. بينما يعيش معظم أهلها ، عدا طوائف من التجار والموظفين ، في فقر وعوز ، لا يؤجر العامل منهم على عمله في شركة البترول طيلة اليوم سوى قروش معدودة لا تسد

رمقاً ولا تشفي غلة بينما تعطي للاجانب من مهندسيها وعمالها الشيء الكثير !! »

والعبرة البالغة التي يستطيع القاريء ان يستخلصها من هذه الكلمات ان البلاد العربية ، وهي مليئة بالكنوز والخيرات ، ستظل دوما ، والى آماد طويلة ، بيد الاجانب يستغلونها لمنافعهم الذاتية وعتادهم الحربي ، اي سيظل الاستعمار الاقتصادي باسطاً اخطبوطه في كافة مرافق البلاد العربية ، الى جانب الاستعمار السياسي ، والاول هو في نظري ، أدهى وأخطر !.

فالواقع ، ان بلادنا مليئة بالكنوز والخيرات ، ولكن هذه الخيرات هي بيد غيرنا ، وستظل بيد غيرنا الى ان يتحرر العقل العربي ، وينضج الوعي القومي ، وننظر الى هذه القضايا نظرة مادية بحتة .. وقد أدرك القاريء ولا شك مما أريده من « تحرر العقل » و « نضج الوعي » و « النظرية المادية البحتة » ..

فعصرنا هذا هو عصر العلم والذرة والواقع ، ونحن لا نزال نعيش في خيال الماضي ، وفي يقظات الشعور وبهارج العاطفة ، وهذا ما لا تعتمده امة تريد الحياة الحرة التي تحسب للفاجئات النادرة الف حساب !..

اننا نعرف ان تربتنا في الاراضي العربية مليئة بالكنوز والخيرات ، ولكننا ، لا نعرف . ويا للاسف ، كيف نستغلها الاستغلال العلمي الذي يجعلنا من اوفر الامم ثروة واكثرها رفاهية وطمأنينة ..

ان الشركات الاجنبية تتناحر ، فيما بينها ، على استثمار خيرات الارض العربية وكنوزها ، ونقف نحن ، حين يراد التعاقد من جديد على بقعة من البقاع ، موقف الحائر المتردد ! وقد يقع التردد تحت ضغط الشعور الوطني المتقد ..

فاذا تم التعاقد خرجنا منه بصفقة المغبون ! وسنظل سنوات وسنوات نقاسي هذا الألم المرير الى ان ينشأ هذا الجيل العلمي الجديد الذي نعده للمستقبل القريب . اي الاعباء الوطنية الكبرى في كافة الميادين ـ والميادين الاقتصادية بصورة خاصة . . ولكن تلاميذنا اليوم ؛ قد اجتذبتهم ـ ويا الاسف ـ السياسة باضوائها المحرقة ! انا لا انكر ان طلابنا يثورون دائماً لدوافع قومية بحتة ، ومع ايماني بجمال عاطفتهم وصدق وطنيتهم وصلب عقيدتهم فأريد ان اعتقد ان اهتمامهم بدروسهم هو اكثر فائدة للوطن من الاندفاع وراء الاهواء والهواجس ..

اننا نريد من تلميذ الغد ان يكون ذلك العالم الباحث المنقب الذي يحسن علم السياسة وفن الهندسة وشتى انماط العلوم والمعرفة لكيلا نكون عالة في استثمار اراضينا على الاجنبي . ولن نفلت من ربقة الاستعمار ما لم تعدّ البلاد العربية هذا الجيل العلمي الجديد الذي يكون في علمه وفنه كالاميركي والانكليزي والالماني للتنقيب عن خصائص الارض العربية واستخراج كنوزها وخيراتها . . .

لقد افاد الاجنبي من جهلنا فركز اقدامه في بلادنا وأخذ يستثمر خيراتها بعلمه وفنه وماله ..

فهل لشبابنا ، اريد لطلابنا هنا وفي ديار الغرب ، ان يناموا سنوات وسنوات على العلم الصحيح ليصبحوا أداة حية في سبيل تحرير اوطانهم والافادة من كنوزها وخيراتها !..

ان المروءة الحقة تقتضيهم ان ينصرفوا بكل قواهم الى دروسهم ، وأن يكوّنوا أنفسهم هذا التكوين العلمي الذي يخلق منهم هذا الجيل العلمي القوي الذي يستطيع ان يحد من طغيان الاجنبي ويستغل خيرات هذه الأوطان بما يعود عليها بالخير والطمأنينة والحرية والسعادة .. والا كان حصادنا من خيرات بلادنا الفقر العوز ، وحصاد غيرنا الكنوز والذهب !

مأساة مراكش ؟

***

في صبيحة يوم عيد الاضحى المبارك ـ اغسطس ١٩٥٣ ـ بينا كان المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ، يبتهلون الى الله ان يقود البشرية الى طريق الخير والحق ، وأن ينير الانسانية بفيض من نوره وعدله ورحمته ، وأن يجنّب العالم ويلات الحروب ، وأن يحقق أمنيات الشعوب ، ولا سيما أمنيات الشعوب التي تكافح في سبيل حريتها وسيادتها ـ في صبيحة ذلك اليوم فاجأتنا محطات الاذاعة في العالم بنبأ اقدام فرانسا على خلع سلطان مراكش سيدي

محمد بن يوسف ونفيه مع ولديه الى جزيرة كورسيكالا لعمل مزر ارتكبه بل لوقوفه هـذا الموقف الشريف الى جانب شعبه وصموده ضد نواياها الاستعمارية التي تريد أن تجعل من المغرب العربي ، ومن مراكش بصورة خاصة مقاطعة افرنسية بحتة !

لقد ضج العـالم الاسلامي كما ضجت الشعوب الاسيوية والافريقية وقسم كبير من العالم المتمدن لهذا العمل المزري الذي لجأت اليه فرنسا ، وقد ظنت انها بهذه الاساليب العتيقة ، تحاول ان توطد مركزها الاستعماري هناك .. وفاتها ان سلطانها القديم كدولة من كبريات دول الغرب الاستعمارية قد زال بعد ان لم تستطع ان تصمد أمام الجيوش الالمانية في الحرب الاخـيرة غير اسبوعين ، وفاتها أيضاً ، ان هذه الحرب ، قـد حررت ستمائة مليون نسمة من قيود الاستعمار ، وأن الاستعمار يلفظ ، في هذا العصر ، أنفاسه الاخيرة ، وأن الشعوب بعد أن تفتحت وبلغت من الوعي أسمى درجاته لم تعد تهضم هذا اللون البغيض من الحكم ، وانه من الخير لفرنسا ، وهي في طريق الانهيـار ، ان تكسب مودة هذه الشعوب التي عاشت معها عشرات السنين ، من ان تزرع في قلوب ابنائها الحقد الدامي الى الأبد ، فمباديء الحرية والاخاء والمساواة التي نادت بها ثورتها وآمنت بها الشعوب عصراً كاملاً قد أحالتها النزعة الاستعمارية الى أكذوبة من الأكاذيب. والواقع ، انه ما من انسان يؤمن بمباديء الحـرية ايماناً صحيحاً الا وينظر الى الأعمال الوحشية الـتي تقترفها فرنسا في المغرب العربي نظرة السخط والخيبة والبغض والأزدراء !.

العار لامريكا

★ ★

على أثر تنفيذ حكم الاعدام بالجاسوسين اليهوديين جيوليوس وايثيل روزنبرغ اللذين ادانهما القضاء الاميركي في قضية نقل أسرار القنبلة الذرية الى روسيا ـ هاج يهود نيويورك وهاج معهم يهود العالم الذين أخذوا يبكون ويتباكون ، يخطبون ويتظاهرون ويستبكون ، معلنين احتجاجهم الصارخ على هذا الحادث الجلل! ولم يملك محامي الزوجين ايمانوئيل نفسه ، وهو من ألمع المحامين اليهود في نيويورك ـ لم يملك ان يصرخ في قاعة المحكمة حين فوجيء بتنفيذ الحكم : « العار لاميركا .. لقد ماتت الديموقراطية الاميركية مع الزوجين روزنبرغ ! » لقد ماتت الديموقراطية الاميركية ! بخٍ بخٍ .

لقد ماتت الديمقراطية الاميركية بالحكم على جاسوسين قذرين وكانت بالامس حية في ضمير اليهود حين شرّد حبيبهم الغالي ترومان ـ مليون عربي من ارض آبائهم وأجدادهم !

لقد ماتت الديموقراطية الاميركية في نظر هذا المحامي الأخرق الذي قال عن الرئيس ايزنهاور ان اسمه سيكون مقروناً أيضاً بالعار فيما يسجله التاريخ عنه !

لماذا ؟

لانه رفض العفو عن الجاسوسين !

لقد نعت ايزنهاور بالديكتاتور .. ولم يتورع ان يلصق به أشنع التهم التي كان يلصقها اليهود بهتلر وموسوليني !

لا لشيء الا لأنه نقض النظرية التي كانت تقول بالأمس :

قتل امريء في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

فقد قال الرئيس ايزنهاور :

« .. ان روزنبرغ وزوجته بريادتهما احتمال وقوع الحرب الذرية ، قد يحكمان بالموت على عشرات الملايين من البشر في في جميع انحاء العالم . ان اعدام شخصين لمسألة خطيرة ، ولكن الاخطر من ذلك التفكير بالملايين من الموتى الذين تلقى مغبة موتهم مباشرة على عاتق هذين الجاسوسين .

وأصدرت اللجنة التي تألفت لانقاذ الزوجين بياناً قالت فيه:

« ان ذكراهما ستحمل اميركا يوماً الى القاء نظرة ملؤها الخزي على « عصر الهستريا » الذي لقيا فيه التعذيب والموت ! »

وهكذا ، فقد أقام يهود العالم الدنيا وأقعدوها لسبب تافه وأصبحت العدالة الاميركية في نظرهم ظلماً ، وحبهم لاميركا بغضاً ، ورضاهم نقمة ، وأصبح العار مقروناً باسم الرئيس الاول وباسم اميركا التي آوتهم بعد تشرّد ، وآمنتهم بعد خوف ، وأطعمتهم بعد جوع ، وأغنتهم بعد فقر ، وجعلت لهم من

نيويورك ، أعظم مدنها وأعظم مدن العالم ـ جعلتها بيئة حرة ينعمون في حماها ويسيطرون على تجارتها ويتحكمون في صناعتها ومرافقها وصحفها واذاعتها وكل وسائل النشر فيها حتى اصبحت الكلمة العليا لهم في دقيق الأمور وجليلها وأصبحوا من الثراء الضخم الى حد التخمة ـ ومع ذلك لم يمنعهم ان يهاجموا اكبر رأس اميركي وان يهاجموا الامة الاميركية بهذه الوقاحة القذرة!

العار لاميركا التي اعدمت جاسوسين يهوديين نقلا أخطر أسرار الدولة الاميركية الى عدوتها اللدود !

والعار لايزنهاور الذي لم يصغ الاحتجاجات التي نظمتها الدعاوة اليهودية من جميع أطراف العالم واستطاعت ان تسخّر هربو واوريول رئيس الجمهورية الافرنسية وغيرهم من كبار الشخصيات لالتماس العفو عنها !

***

حين قرأت ملابسات هذا الحادث قلت ماذا عمل العرب بعد نكبتهم الكبري في فلسطين !

قد يقول قائل وما وجه المقايسة ؟

والواقع ، ان المقايسة بين الحادثين جد بعيدة لان موقف اليهود يتعلق بفرد وموقفنا يتعلق بأمة .! ومع الفروق البعيدة بين الحادثين، فقد أقام اليهود الدنيا وأقعدوها لانقاذ حياة فردين ثبتت خيانتها في نظر الامة الاميركية ، وأدانهما القضاء !

أما نحن ، فقد كان عملنا بعد النكبة ،صراخاً واحتجاجات في محيطنا العربي واتهامات سوداء تقذف بها بعضنا ذات اليمين وذات الشمال وكفى المؤمنين القتال !

ان هذا الحادث الفردي يرينا مدى تضامن اعدائنا ومدى ما نحن عليه من تفكك ، ويكشف للامم الحرة مدى اصالة العربي وخساسة اليهودي ! لقد صبّ العرب نقمتهم على شخص رومان ولم يمسوا الامة الاميركية ـ والشعب الاميركي شعب ساذج ، طيب ، القلب يؤخذ بالدعاية التي لها اكبر تأثير في نفوسهم ـ أقول ان العرب صبّوا نقمتهم على رومان وأصفيائه ولم يمسوا الامة الاميركية بل كان تقدم في غاية السمو من الادب . نعم ، هاجم العرب رومان وطغمته الذين باعوا أنفسهم لليهود كما باع فاوست نفسه للشيطان ! ولم يهاجموا الامة الاميركية !

ولا اعلم اذا كان هذا الحادث ـ اريد موقف اليهود من الاميركان بعد اعدام الجاسوسين وتهجمهم على اميركا وعلى الرئيس الاميركي ـ لا اعلم اذا كان هذا الحادث سيوقظ الاميركيين وينبههم الى ما هي عليه السجية اليهودية بعد ما كشفت عن نفسها بحقيقتها العارية ، هل سيظلون في حدبهم وعطفهم وتحمل هذه الفئة الباغية التي لا تعرف من الحياة الا ان تكون « علقة » تمص من جسم البشرية ، وان تكون بعيدة عن الشرور التي تثيرها لتضمن لنفسها الحياة ومضاعفة الثراء !

أي والله .. لا أعلم اذا كان هذا الحادث الصغير بمدلوله ، والكبير بمغزاه سيفتح عيون الاميركيين الى ماتنطوي عليه سجية اليهود بحقيقتها العارية ، ويبيّن لهم مدى الخطأ الفادح الذي ارتكبه الرئيس السابق ترومان بحق العرب وبحق الانسانية حين مكّن هؤلاء اللصوص الذين جمعوهم من شتى اطراف العالم ليؤسسوا دولة في أدق نقطة حساسة من بلاد الشرق لتكون مصدر قلق وشر .

ان القسم الاكبر من الشعب الاميركي الطيب القلب لا يزال ، ويا للأسف ، مأخوذاً باضاليل اليهود ، ومن حقه أن يستيقظ ، وان يفيق ، وان يصيخ الى دعوة الحق والحرية والا واجه الكثير من المتاعب من هؤلاء « الاولاد المدللين » .وهذا ما أشار اليه الرئيس الاسبق لنكولن حين كشف حقيقتهم وحذّر الشعب الاميركي من طغيانهم وما سيجرونه . على اميركا، بعد ان يشتدّ ساعدهم ، من متاعب .

وفي ظني ان هذا الحادث هو البداية .

هذه الانتفاضات !..

★★

ربما كانت سورية ، بعد كارثة فلسطين؛ هي أول قطر عربي انتبه الى ما يحيط بها وبالأمة العربية من كوارث وما يدبر لها من خطط ، وما تستهدفه من اخطار ، فنفضت عنها بعض ما يعيق نموها وتطورها ، وبدأت حياة جديدة في كافة مرافق حياتها، وكانت انتفاضتها او ثورتها على الاوضاع الفاسدة هي بدء الانطلاق لبقية الشعوب العربية .. وما هي فترة غير طويلة حتى رأينا انقلاب مصر ، وهو حدث عظيم في تاريخ الانقلابات لمن يعرف مصر وما كان للبيت العلوي ولفاروق بصورة خاصة من سطوة وجبروت. نعم ، انه حدث عظيم ! .. فمن كان يظن ان ينهار هذا العرش وقد سيطرت القوة الغاشمة على كل مرفق من مرافق الحياة ، وكان طاغية مصر ، ومن التف حوله من حثالات الأمم ـ كان قوة مرعبة كمّت الافواه وعطلت حرية القول حتى لم يكن احد ليجسر ان يفوه بكلمة او تبدو منه أية اشارة ازاء تصرفاته الشاذة ... ولكن رجالاً اقوياء الايمان ، وهم صفوة من ضباط

مصر الاحرار في طليعتهم جمال عبد الناصر ـ قد آلمهم ما اصاب العرب ومصر بصورة خاصة في نكبة فلسطين من مساس بكرامة العرب ـ فوقفوا وقفة الجبابرة ازاء طغيان المليك الغاشم وقالوا له : قف عند تصرفاتك وانزل عن هذا العرش الذي جعلت منه بؤرة للنزوات والشهوات والعبث بمجد امة وكرامة وطن ـ فكانت الفترة الحاسمة في تاريخ مصر التي كانت في طريقها الى الهلاك !

ولقد كان لهـذا الانقلاب الذي انحسر عن ثورة اصلاحية شاملة شتى العهد الجـديد ضد الاوضاع الفاسدة اثره المباشر في لبنـان ، فكان الانقلاب السلمي الهادىء الذي أودى بعهد بغيض الى نفوس اللبنانيين ليفتتح عهـــداً جديدا يعلّق عليه اللبنانيون أوسع الآمال .

لقد بدأت سوريا مرحلتها التحريرية بعقيدة وايمان وتبعتها مصر .. وتبع مصر لبنان . ومن يدري ما تفاجئنا به الايام غداً في سائر الاقطار العربية والنفوس تتحرق الى ما جرى في هذه الشقيقات .. وان دل هذا على شيء فعلى التجاوب العميق بـين الاقطار العربية وبين شعوبها الكريمة التي تنزع نزعة اصلاحية حرة تواءم هذا العصر في كافة نزعاته ووثباته ..

ان الانتفاضة التي قامت بها سوريا لم تقف عند نضالها السياسي بل اعقب ذلك انتفاضة في كفاحها الاجتماعي . . وهما امران متلازمان لنهضة امة تريد ان تصمد للاحـداث ، وتسير مصر

العزيزة في نفس النهج الذي انتهجته سوريا ، ولبنان وهو عريق في نهجه التجددي — ، لن يتخلف عن السير في هـذا المضمار ولا سيما وهو من السابقين في النزعات التجديدية ، وان كانت الاوضاع تختلف في كل قطر عربي عن غيرها من القطر الآخر ، فان الاهداف واحدة ، وهي الثورة على الاسلوب القديم المعوج الذي انتهجه رجالات العهد الماضي ، وبدء عهد جديد يجعل من الشرق العربي قوة تدرأ عنه ما يُكاد له من خطط وما يدبر له من اخطار !

ونرجو مخلصين ، وقد توحدت الاهداف ، ان يكون الانسجام في العمل نتيجة لوحدة الميول والاهداف ، وان لا تتكرر خطيئات الماضي ، وقد كانت نكبة فلسطين نتيجة اختلاف « وجهات النظر » — نظر الكبار — في لحظات حاسمة مما مس الشرق العربي وخلق « الدولة المجرمة » التي أورثت المتاعب الى الامة العربية التي لن يهدأ لها بال ما لم يغسل هـذا العار ، ونرجو ان تكون هذه « الانتفاضات » بدء حياة جديدة لغسل هذا العار ؟

١٩٥٢

الدور الخطير الذي تلعبه مصر وسورية في التحرير العربي (١)

ايها الاخوة البررة .

طاب مساؤكم وسُعدتْ الشهباء بلقياكم وبعد فأن كلمة الترحيب التي تنطق بها شفاهنا وتنبض بها قلوبنا ليست كلمات الولاء والاخوة والمحبة فحسب ـ هذه الكلمات التي اعتدنا ان نتبادلها بصدق في مثل هذه المناسبات . لا .. ان كلمة الترحيب بكم ، هي هذه التحية العبقة التي نرسلها من الاعماق ـ تحية سورية العربية الى شقيقتها العزيزة مصر في وثبتها التحريرية الاخيرة نحو الحياة الحرة الكريمة .

وليست هذه الوثبة بالمستغربة عن مصر . . فتاريخها الطويل حافل بهذه الوثبات والانتفاضات والتمرد على الظلم والطغيان .

---

(١) من خطاب القي في حفلة ترحيبية باخوان مصريين وكان ذلك عقب ثورة مصر مباشرة ، وقد اشير فيه الى اهداف مصر وسورية في تحرير الوطن العربي .

ولا نرجع الى الماضي البعيد لندخل غمار التاريخ فحسبنا ان نلتفت الى الماضي القريب لنقرأ بوضوح تلك الصفحات الباهرة من كفاح مصر الحره في سبيل عزتها وسيادتها وكرامتها . نعم ، فمنـــذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، أي منذ قامت ثورتكم الكبرى الى يومنا هذا ، وانتم في كفاح مستمر في سبيل مجد وطنكم وحرية امتكم. ولطالما اعطيتم لاخوانكم الشرقيين أعظم العظات وابلغ الدروس ـ دروس الكفاح ـ ضد الطغاة وضد الناصبين .

من الثورة المصرية التي حمل مشعلها الوضاء سعدٌ الخالد ، رحمه الله، الى الانقلاب الذي قام به رجل مصر جمال عبدالناصر ـ مرّت فترات عصيبة في تاريخـــكم الحديث دلّت على ان الروح المصرية نزاعة بطبيعتها الى الحـــرية ، تأبى ان تستسلم للذل والخنوع والاسار .

لقد كان لهذا الانقلاب صداه البعيد في شتى اقطـار الغرب والشرق، وقد هدف الى تحرير المواطن المصري من شتى العبوديات. وانتم تعلمون يا اخواني ، انه متى تحرر الوطن بلغ المواطن اسمى ما يحلم به الهداة المصلحون من امنيات .

ان الوثبة التي قامت بها مصر هي نفس الوثبة التي قامت بهـا سورية بالامس ـــ تحرير المواطن من الجهالات والعبوديات والاقطاعيات وتحرير الوطن من كل اثر لظل الاجنبي وسلطانه .

وهما وثبتان حرتان كريمتان سنكونان ، ولا ريب ، بدء انطلاق لتحرر العالم العربي كله بأذن الله .

ان سنوات الكفاح التي مرت بها البلاد العربية ، في العقود الثلاثة الاخيرة من هذا القرن — هي سنوات مليئة بالاحداث الجسام .

ولا نكران اننا قد قطعنا شوطاً طويلاً في مضمار الحياة الحرة . وما بلغناه هو ثمرة هذا الكفاح الدامي ، وكان لا بد — بعد ان هرق الكثير من دم الشهداء على مذبح الحرية — كان لا بد بعد هذا الصراع الطويل من ان تصل بلاد الشرق العربي الى بعض امنياتها في الحرية والسيادة .

وكان لا بد ايضاً — بعد هذه المرحلة، من ان تلتفت الشعوب العربية الى « ذاتها » والى « كيانها » تحررهما من اثقال الماضي ووزر القرون المظلمة .

والنضال في المعركة الثانية ليس أقل عناء من النضال في المعركة الأولى .

ومن نعم الله ان النفوس الحرة تستجيب دائماً الى صيحات القادة المخلصين الذين يرسمون خطط الاصلاح في كل ناحية من نواحي الحياة .

لقد قطعت سورية في الفترات الاخيرة ، شوطاً عظيماً في ميدان التحرر والاندفاع نحو وطن جديد ينهض على أسس جديدة ، وأحب ان اعتقد ان مصر العزيزة تتلاقى في وثبها الجديدة مع سورية على صعيد واحد ، وهو تحرير الوطن من كل

القيود التي تحول دون نهوضه ، وتحرير المواطن من كل القيود التي فرضتها عهود العبوية والذل والسيطرة الاجنبية .

نحن ايها الاخوان ، في وطن عربي احاطت به الاطماع من كل طرف ، ولا سبيل الى رد هذه الاطماع والحد من نهمها وشراهتها وتكالبها الا بالتعاون العربي الوثيق والعمل بعقلية جديدة توآم طابع هذا العصر . ومن حسن الحظ ، ان هذا التجاوب بين الشعوب العربية في سبيل عهد حر جديد هو الذي يملي على رجالاتنا الاحرار وقادتنا الابرار ان يكونوا اداة لتحقيق ما تجيش به قلوب الشعوب العربية .

وختاماً اكرر تحيتي لحضراتكم ايها الضيوف الاعزاء ـ تحية حلب الشهباء الى ابناء وادي النيل .

عاشت مصر الفتية سيدة عزيزة .
وعاشت سورية حرة كريمة .
وعاشتا شقيقتين كريمتين تعملان معاً في سبيل سيادتهما وسيادة الشقيقات العربيات والسلام .

١٤ - ٨ - ١٩٥٢

درس من العدوان

***

.. كان للعدوان الانكلو فرنسي على مصر ـ ذلك العدوان الآثم الذي حشدت فيه انكلترا وفرنسا كل ما تملكانه من قوى مدمرة في الجو والبر والبحر للسيطرة على وادي النيل واستعادة ما كان لهما في الشرق الاوسط من نفوذ مغتصب في خاليات الايام ـ كان لهذا العدوان الذي تخجل أحط الشعوب البدائية من اقترافه ـ كان له أثره البغيض وصداه الأليم في وجدان الأمم وفي ضمير الشعوب الحرة التي ثارت تستنكره وتقف الى جانب مصر الأبية لتقول للبغاة المجرمين : يا للعار ..

وعلام هذا العدوان ؟

وفيم هذه القنابل المحرقة تصب شواظ نيرانها على الآمنين الوادعين من السكان فتهدم وتحرق وتزهق النفوس ..

قالوا : إن مصر أممّت قناة السويس !

وهل يستوجب تأميم القناة هذا الاجرام الوحشي السافر الذي لم يرو له التاريخ مثيلا ؟

والتأميم ، كما نعلم ، حق تملكه كل أمة ذات سيادة ، وهو بدعة جاءتنا من الغرب ـ من فرنسا وانكلترا ، وقد استعملت مصر حقها الطبيعي في التأمم ، وكفلت لجميع المساهمين حقوقهم ولجميع الدول المنتفعة من القناة حق المرور ونفس الحقوق التي كانت لها بالأمس .

ولكن الرأسمالية الافرنسية الجشعة ، والنزعة الانكليزية ذات المطامع الاستعمارية الصارخة لا تريدان ان تعترفا بشيء اسمه « حق » .. وفي سبيل مطامعها فلتنقلب المقاييس ، ولتتبدل القيم والمفاهيم ، وليصبح « باطلها » ـ « باطل » الاستعمار ـ « حقاً » ، ولينظر المستعمرون هذه النظرة الشوهاء التي ما تزال تعتبر الشعوب اليقظة الحرة شعوبا بدائية يجب ان تخضع وتستسلم وتظل ذليلة مهينة تقدم لأسيادها المحتلين الطاعة والعبودية والخضوع !

وكانت المفاجأة الكبرى

وظن الاستعمار الغاشم ممثلاً بالدولتين الباغيتين ان الامر لا يعدو « التهويل » ، وان « انذاراً » ترسله هذه القوى تكفي للخضوع والاستسلام !

وارسلوا « الانذار » فكان جواب مصر عليه ـ « الهزء » و « السخرية » . .

وعمدوا الى القوة المدمرة وقالوا ان بضع طائرات تحلق في الجو وتقذف قنابلها على الدور والمرافق العامة تكفي لأن تركع مصر على قدميها وتستسلم ! أي تخيل لزبانية الاستعمار ان الامر لا يعدو ان يكون نزهة من النزهات الحربية ثم تكون الغنائم .. فالسيطرة واستعادة النفوذ !

.. ولكن جاء الامر على غير ما تصوروه ، فخاب فألهم ، وفاتهم ان مصر اليوم غير مصر الأمس ، وان جمال عبدالناصر غير فاروق .. وان عهد الثورة غير عهد الميوعة . .

ووقف عبدالناصر يرد على ايدن وموليه ويهزأ بمحاولتهما الجهنمية التي ترمي الى استعباد مصر والسيطرة على مرافق البلاد العربية . .

ووقف الشعب المصري من ورائه يدعمه ويؤيده . .

وهب العالم العربي ، كما هبت أمم العالم تقف الى جانب مصر في قضيتها العادلة .

وكان بدء القتال في بور سعيد . .

وظن المستعمرون ، كما قلنا ، ان بضع ساعات تقذف المدافع قنابلها . . ومأة دبابة تسير مختالة في شوارع بور سعيد .. وأسرابا من الطائرات تقذف نيرانها من الجو تكفي للقضاء على معنويات الشعب المصري ، فيثور على عبدالناصر وعلى صحبه الاشاوس

وينتهي حكم الثورة ، ويكون الاستسلام حيث يدخل الغزاة المجرمون ليعيدوا عهد الطغيان سيرته الاولى . .

وخاب ظنهم للمرة الثانية . .

ووقفت مصر .. ووقف ابناء بور سعيد الاشاوس يدافعون عن أرض الوطن بحرارة وايمان ، ويدفعون العدوان بكل ما في نفوسهم من عزيمة ومضاء ..

وثبتت المدينة الباسلة تقاوم وتقاوم وما زالت تقذف بابنائها الأباة الى ساحة القتال حتى استطاعت ، في فترة قصيرة ، ان تنزل بقوى الشر الكثير من الضحايا ، وان تعطي هي الكثير من الضحايا ، لكنها استطاعت أيضاً أن ترفع رأسها بشمم ، وان تدفع العدوان عن مصر .. وان تقول للغزاة لا . . لن تمروا . . ولن تطأ أرجلكم القذرة ارض مصر الحرة .

وهكذا كان . .

ولن نسرد الأحداث التي مرّت بهذا العدوان . وقد ظلت الدنيا فترة غير قصيرة تتحدث عنه ، كما تتحدث عن بطولة اهالى بور سعيد وما تزال .

ولكننا نريد ان نفيد درسا من هذا العدوان ، ونريد ان نقول لاولئك الذين لا يزالون يؤمنون باخاديع الغرب ، و« طيب سريرة » المستعمرين و « حسن نوايا » الغزاة المجرمين ان يأخذوا

العبرة من هذا الحادث الجلل . .

ففي هذا الحادث درس وأي درس . . ولنا منه عبرة وأية عبرة .. نعم ، نريد ان نقول لاولئك الذين لا يزالون يؤمنون بمباديء الغرب وحسن نواياهم انهم واهمون مخدوعون . . ذلك لان نزعة السيطرة والتغلب ما زالت تضطرم في جوانحه .. وانه في سبيل مطامحه قد يدوس أقدس المباديء والقيم ، فالمبدأ الذي يؤمن به ويقدسه هو ان « القوة فوق الحق » . وان حقوق الشعوب الضعيفة اسطورة من الاساطير . . أي ما زال ـ أربد الغرب المستعمر ـ ذلك الوحش الآدمي المفترس الذي لا يتورع ان يرتكب أقسى وأحط وأدنأ ضروب الغدر والوحشية في سبيل مآربه .. وهو اذ يرتكب هذه الجرائم الموبقة التي تقشعر لها الابدان ويندى لها جبين الانسانية ـ إذ يغزو المدن الآمنة ويصب نيرانه المحرقة على السكان الوادعين ـ على الشيوخ والنساء والاطفال، ويهدم المعابد والمستشفيات ـ لا يخجل ان يقول للعالم ـ والقناع على وجهه ـ انه يقوم بذلك في سبيل الحق والعدالة ، وفي سبيل المدنية والسلام . تلك المباديء القدسية التي يستعمل الفاظها على غير مدلولها وعلى غير حقيقتها كأنما العالم ما يزال من الغفلة بمكان عظيم !

ويله . . كأني به لم يشبع خلال قرون طويلة ، وهو يمتص دم الشعوب التي حكمها وسيطر على مقدراتها واستغل خيراتها

وكنوزها ـ كأنما لم يشبع ، اي لم تشبع انكلترا الجشعة وخديتها في الشر فرانسا المجرمة ـ كأنها لم يشبعا خلال سيطرتها الطويلة على الشعوب الآمنة المطمأنة فأخذتا تمثلان من جديد دورهما البشع الهزيل الذي باء بالخزي والفشل والخسران!

ويل أمكم .. يا حماة المدنية الزائفة !

أيها الفجرة الطغاة ..

أيمثل هذه الوحشية التي يترفع عنها انسان الغاب تريدون ان تكسبوا صداقة الشعوب ، والشعوب العربية بصورة خاصة ..

ثم أية مدنية هذه التي يمنّ بها الغرب على الشرق ؟

انها ، ويا للأسف ، مدنية الغصب والاستيلاء

مدنية الغزو والسلب وإذلال الشعوب

مدنية البغي والعدوان والفجور

مدنية التنكر للحق وللحريات وللقيم ولكل مبدأ انساني مقدس ..

لقد انكشف الستر وارتفع الغطاء عن وجوهكم الكالحة المقنعة ايها الغزاة الفجرة ، فظهرتم على حقيقتكم ، وما كان امركم بخاف على الشعب العربي الأبي ، ولكنكم ، كنتم تخادعون الكثير من أمم العالم ، فعرفتكم ، في عدوانكم السافر على مصر ، وفي جرائمكم الوحشية في الجزائر ، عرفتكم ، ايها الغزاة الوقحون

على حقيقتكم ، وهذا الذي أهاب بجميع دول العالم المنطوية تحت راية هيئة الامم المتحدة وبجميع الشعوب الحرة . ان تقف الى جانب مصر في قضيتها العادلة تستنكر اجرامكم السافر الذي لم يرو له التاريخ مثيلاً . .

نعم ، ما كان امركم بخاف على الامة العربية ، وقد عرفتكم وعرفت ختلكم وغدركم في الحربين العالميتين الاخيرتين ، وجئتم في هذا العدوان الآثم تؤكدون ما انطبعت عليه سجاياكم من غدر ولؤم .. وهذا الذي أهاب بالامة العربية ان تقف منكم موقف الحيطة والحذر . وان تقاطعكم وتعلن العداء لكم ، وحسبها من عدوانكم الآثم هذا الدرس البليغ الذي أفادته ، فجعلت منها ، في كل بقعة من بقاع العالم العربي كتلة متراصة أقسمت ان تعيش في اوطانها حرة كريمة ، وان تدافع عن كل شبر من ارض الوطن العربي الكبير بصلابة وضراوة الى ان تتحقق سيادته الكاملة من المحيط الى الخليج حيث يتاح للشعب العربي الحر ان يكون اداة خير وبناء في المجموعة البشرية لا أداة شر وتهديم ، وان يساهم في بناء الحضارة التي أخذت مفاهيمها الخلقية تنهار على ايديكم ، فالعرب ، هم ورثة اولئك الاجداد الذين اعطوا الدنيا ، في ماضيات الايام ، اسمى معطيات الخير والحق والهدى والجمال ، لن يكونوا في القرن العشرين الا كما كانوا في عهدهم الذهبي حين صانوا تراث الحضارة اليونانية

من العبث فحفظوها وديعة مقدسة وسلموها الى الغرب ، وحين انشأوا حضارة ظلت قرونا طويلة تشع بالهدى والحضارة والعلم والايمان .

ميلاد الجمهورية العربية المتحدة

* *

أعظم حدث واجه العرب في تاريخهم الطويل هو قيام « الجمهورية العربية المتحدة » التي وحدّت بين جمهوريتي مصر وسورية ـ هذه الوحدة التي ستكون نواة للوحدة العربية الكبرى التي نرجو ان لا يطول أمد انبثاق فجرها ..

وليس عجيباً ونحن في عصر الذرة والصواريخ والاقمار الصناعية والعالم كله يسير بخطوات الجبابرة ويثب وثباً الى الامام. والأمم المغلوبة على أمرها تكافح في سبيل حريتها وسيادتها وتعمل لبناء أمجادها .

ليس عجيباً وقد استيقظ العرب وأخذوا يحطمون القيود ويفكّون السلاسل وينفضون كفن العبودية ويسيرون في طريق الحرية وقد تخلصوا من سيطرة المستعمرين الذين ظلوا آماداً طويلة يستغلون خيرات بلادهم وكنوزها ـ ليس عجيباً ان يعملوا لتوحيد اجزاء بلادهم ولتكوين الوحدة العربية الكبرى .

نعم ، ليس عجيباً هذا ، بل العجب كل العجب ان يظلوا حيث يريد بهم الاستعمار ان يظلوا مطية لهم ، وان يكونوا متنابذين ، متفرقين ، قد عصفت بهم المكائد والدسائس والاهواء .

***

لقد كانت الوحدة العربية بالامس هواجس وأحلاماً في ضمير الساسة والزعماء وعلى لسان القادة والادباء والشعراء الذين ما تناولت مباحثهم القضية العربية في يوم من الايام الا أشاروا الى الوحدة الكبرى التي تجمع مختلف الاقطار التي ينطق أبناؤها بلغة الضاد ..

أي والله ..

كانت الوحدة العربية بالأمس هواجس واحلاماً في ضمير رجالات العرب .. وما تزال في ضمير بعض الرجالات الذين باعوا أنفسهم للشيطان .. أو هكذا يريدونها ان تظل أحلاماً مشوشة .. وهواجس مضطربة ..

ولكن بطلين من عظماء العرب أرادا أن يجعلا من الحلم حقيقة بارزة .. ومن الهواجس وقائع ملموسة ..

ولم لا يتم الاتحاد بين اجزاء الوطن العربي ؟

ولم لا تتحقق الوحدة الكبرى ؟ فالاقطار قد تحررت .. او تحرر معظمها من سيطرة الاجنبي وجميعها كتل متراصة واقفة بالمرصاد للدسائس المستعمرين واحابيلهم وشتى وسائلهم ومغرياتهم .

والشعب العربي واعٍ يقظ لا تنطلي عليه الأخاديع والاكاذيب، ثائر على أذناب المستعمرين الذين ما زالوا عثرة في طريق الوحدة الكبرى . .

وهم يعلمون ان ارادة الشعوب هي فوق كل ارادة . . هي من ارادة الله . . وحين تتلاقى ارادة الشعوب مع ارادة الزعماء المخلصين المتجاوبين مع شعوبهم لا يبقى ثمة مجال لاولئك الهدامين الذين يحاولون ان يكونوا دائماً حجر عثرة في طريق تحررها . اولئك الذين يريدون ان يرجعوا بها الى الوراء حيث يسير الزمن سيره السريع .

ان الشعب العربي ، بكافة اقطاره ، يريد الوحدة الكبرى. يريد ان يعيد التاريخ نفسه . اي ان تتكون « **الامبراطورية العربية** » التي كانت بالامس فيضاً من الخير والحق، ورسالة نور وتمدين لا للعرب وحدهم بل لجميع شعوب العالم .

ان ثمة عوامل كثيرة تدفع رجالاتنا الى تحقيق وحدة الاقطار العربية لتكون هذه الوحدة المباركة نواة طيبة لخلق الامبراطورية العربية الكبرى . . نعم ، ان وحدة الاهداف ، وطبيعة الارض ، والماضي المشترك ، واللغة والعادات والتقاليد والخصائص النفسية والروحية وكره الاستعمار بشتى الوانه ـ كل ذلك يدفع الاقطار العربية ان تتحد وان تتكتل ، وأن تبني الوحدة الشاملة وان تعيد للامبراطورية العربية الكبرى مجدها الذهبي .

وقد شاءت الاقدار ان تكون بداية هذه المرحله على يد رجلين عظيمين من عظماء العرب .

شكوري القوتلي : الرجل الصلب العقيدة ، القوي الايمان برسالة العروبة ، والذي عاش طوال عمره لا يعمل الا لمجد العرب ولعزة العرب ولسيادة العرب .

وجمال عبدالناصر : هذا الثائر الشاب الذي لعب اكبر دور في تاريخ القومية العربية والذي رأى فيه العالم العربي البطل الذي وقف يناضل بعناد ، ويصمد للاستعمار صمود الجبارة الابطال .. فخاض عدة معارك كبرى خرج منها ظافراً .. وما زال في كفاحه المرير وظفره المعسول حتى استجاب لارادة الشعب العربي في وحدة الجمهوريتين العظيمتين . . فكان ميلاد « **الجمهورية العربية المتحدة** » .

وكأني بالبطلين العظيمين في انطلاقتها الكبرى ـ كأني بهما قد رسما خطة المستقبل القريب لوحدة الاقطار العربية . . وقد لا يمر وقت طويل الا وتتحقق الامنية الغالية التي طالما هجست بها النفوس ..

ان العرب وهم اليوم في فجر يقظتهم ، وقد تحرروا من سيطرة المستعمرين أو كادوا ، يريدون ان يلعبوا دورهم الانساني الخطير في هذه البقعة من العالم .. ولن يتاح لهم ان يلعبوا هذا الدور ما لم تتحرر جميع اقطارهم من السيطرة الاجنبية

ويصبحون أمة واحده ..

ولن يطول هذا اليوم بعد ان وضع الرجلان العظيمان الخطوط الاولى للامبراطورية العربية الكبرى .

نعم ، لن يطول هذا اليوم

وحين يهدأ العرب من النضال المرير وينبثق فجر الامبراطورية العربية ستتحول عبقرية أبناء العرب ، وكنوز بلاد العرب الى خيرات تعم العالم . وسوف تنبثق من هذه الارض المباركة ، كما انبثقت بالامس حضارة انسانية مشرقة ، لا تعرف النار ولا الدمار .. بل يشع من حواشي أطرافها الخير والنور على العالم أجمع .

وهذه أمنية كل عربي ينشد الحياة الحره .. ولا يريد للعالم الا ما يريده لنفسه من الحرية والرخاء ، وان ينعم بالطمأنينة والحب والسلام .

الوحدة التي أيقظت العرب من جمودهم

***

قد يحار الكاتب ، في هذا اليوم المبارك البهيج [1] ، عن أي موضوع يتحدث.. فمهما شرد الذهن الى الآفاق البعيدة او القريبة من موضوعات الأدب والتاريخ وشتى مجالات الفكر والحياة يجد نفسه مشدوداً الى مباهج وافراح هذا اليوم الذي تجلّت فيه ارادة الأمة قوية صارخة تعبّر تعبيراً صادقاً عن أدق نزعاتها ، وأصفى احاسيسها في وحدة مصر وسورية . . وفي رئاسة الرجل العظيم جمال عبد الناصر ..

ملايين العرب في الاقليمين السوري والمصري هرعوا صبيحة

---

(١) يوم الاستفتاء على الوحدة بين جمهوريتي مصر وسورية وعلى انتخاب الزعيم البطل جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة. وكان ذلك في الواحد والعشرين من شهر شباط ١٩٥٨.

هذا اليوم الى صناديق الاقتراع يدلون بارائهم ، ويفصحون عن ارادتهم دون جمجمة او خوف، لا تدفعهم الى ذلك رهبة سلطان، ولا رغبة بالاصفر الرنان .. فلا ذمم تشتري ولا ذمم تباع .. ولا تناحر بين الاحزاب ، ولا تآمر على الاسلاب . لا شيء الا التعبير الصادق عن قضية مثلى هي جزء من ايمانهم العميق ـ وعبروا اكثر عن هذا التاريخ الجديد في وثبتنا الحرة المنطلقة ..

فالواقع .. ان هذه الوحدة التي تمت بملء ارادة الملايين من السوريين والمصريين ترمز الى اكثر من معنى واحد ..

انها بداية لوحدة اشمل تضم جميع اجزاء الوطن العربي التي لا تزال ترسف بعضها في القيود والأغلال باسم الصداقات الكاذبة تارة والمعونات المسمومة تارة أخرى ..

ولن يغيب عن اذهاننا قط ان العرب ، في هذه الفترة من تاريخهم الحديث ، ما زالوا يقفون وجهاً لوجه مع الاستعمار ! .. وما زال المناضلون هم الذين يكشفون ما تبطنه تلك الصداقات والمعونات من اكاذيب وتهاويل . . وهم الذين يبصّرون الشعب العربي في جميع اقطاره ، بما يحاك له من مناورات ، وما يدبر له من مؤامرات .. يراد من ورائها ان تظل اوطان العرب مكبلة بالقيود . . وان يظل ابناؤها عبيداً اذلاء .. وان تظل كنوزها وخيراتها بين ايديهم ينعمون بها هانئين مطمئنين . . نعم ، ان رجالنا المكافحين هم الذين كانوا ومازالوا يحبطون تلك المناورات.

ويهيبون بالشعب العربي الحر ان يكون يقظاً، وان يكون حذراً، وان يصب نقمته لا على المستعمرين فقط بل على ابناء جلدته الذين باعوا انفسهم للشيطان . وما زالوا وهم قلة ـ والحمد لله ـ يسيرون وراء المستعمرين معصوبي العيون !

***

لقد مرّت الأمة العربية ، خلال السنوات العشر المنصرمة، بأعظم وأقسى تجربة من تجارب نضالها القومي . . وهي تكافح ببطولة .. وتصارع دون ملل، وتقدم الضحايا بزهو وفخر . منذ نكبة فلسطين .. الى انبثاق فجر الثورة المصرية المقدسة .. ومن جلاء القوات الاجنبية عن سورية .. الى جلائها عن مصر .. الى ثورة الجزائر التي ما تزال في عنف اضطرامها واشتعالها . . الى أيام العدوان الاثيم على مصر الحبيبة ـ مرت الأمة العربية ، خلال هذه السنوات العشر ، بأقسى تجربة من تاريخ نضالها الدامي . . وما تزال في كفاحها ، ونضالها وصراعها وتضحياتها لم تهدأ ، ولن تهدأ الى ان تبلغ امنيتها الكبرى . وما امنيتها التي يهجس بها ضمير كل عربي حر الا تحرير الوطن العربي كله من كل سيطرة اجنبية .

وفي يقيني ان وحدة مصر وسورية التي اقام بنيانها الشامخ شكري وجمال على اساس من الاخوة وطيد لم تُضف بهجتها وفرحتها على قلوب المصريين والسوريين فحسب بل هزت ضمير

جميع ابناء العرب في جميع اقطارهم ، وفي مهاجرهم ايضاً. فلم تكن افراحهم، ولم تكن مباهجهم هناك أقل روعة من مباهجنا وافراحنا.

ذلك لان وحدة الشعور .. ووحدة الايمان بحق العرب في الحرية والسيادة هي هي .. شعلة تضطرم في قلب كل عربي من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي . . الجميع يريدون الوحدة الكبرى ـ الوحدة المتحررة من كل قيد . ومن كل تبعة من التبعات الاجنبية .

فوحدتنا ـ وحدة الاقليمين السوري والمصري ـ قد ايقظت العرب من جديد .. ودفعت بهم ان يخوضوا لجج الاحداث بعزم وايمان . وان يسيروا الى الأمام غير هيابين ولا وجلين .

ان ابناء العرب اليوم غيرهم بالأمس. انهم اليوم في توثب وانطلاق .

والنفس العربية ثائرة هائجة .. او متحفزة لثورة كبرى . وستحطم قريباً السدود والقيود .

اني أرى خلل الرماد وميض نار . ولا بد للأقطار العربية التي لا تزال تعاني مضض الاستعمار من ان تثور . وتنطلق .. وتحطم كل ما يحول دون هذه الوحدة الشاملة التي تكوّن امبراطوريتنا الكبرى .

نعم، لا بد من ثورة قريبة . اني أرى وميض نارها من خلال

الرماد ـ رماد النفس العربية الحرة . انها في ثورة هائجة . تغلي كالبركان . تريد ان تسبق الزمن . تريد ان تنعم اجزاء الوطن العربي بما تنعم به مصر وسورية من سيادة كاملة مطلقة غير مشوبة بقيود مبطنة ، تريد ان تضم اجزاء الوطن العربي الى بعضها في وحدة كاملة لتتكوّن الامبراطورية العربية الكبرى .

هذا ما تهزج به النفس العربية ليتاح لها في الغد القريب ان تجعل من هذا الوطن العربي الكبير بيئة معطاء تبدع وتخلق لخير الانسانية. وهي تود لو استطاعت ان لا تفجّر قواها في مكافحة الطغيان بل في سبيل هناءة الانسان . ولكن يأبى الاستعمار الا ان نكون معه في صراع وشنئان ! .

لهذه المثُل السامية هدف رجالاتنا الاحرار .

والجيل الصاعد يحصد اليوم ما بناه الرجال الأوائل منذ منتصف القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين .

نعم ، من حق الجيل الصاعد . . ومن حق الشباب ان يستلهموا نفوس القادة البررة الذين ساروا وراء اهدافهم التحررية لا يليويهم عن بلوغ غاياتهم المثلى نفي او سجن او موت .

من عهد عبد الرحمن الكواكبي الثائر العربي الحر الذي كان اول من فكر بالامبراطورية العربية الكبرى . الى عهد شكري القوتلي المجاهد البطل الذي تتمثل في شخصيته الجليلة المقدسة

جهاد الأمة العربية خلال نصف قرن كامل ـ مرت القضية العربية بمراحل جد خطيرة ـ من جهاد مرير . وصراع طويل الى اضواء تلتمع في الأفق . الى بداية مرحلة تؤذن بميلاد فجر جديد ـ فجر القومية العربية التي لم تعد طفلاً يحبو .. ولم تعد فتىً يافعاً في غضارة الصبا بل اصبحت انساناً كامل الرجولة يسير الى الامام بخطوات المارد الجبار ـ خطوات جمال عبد الناصر الذي خطا ووثب بالأمة العربية ، في سنوات خمس . مأة سنة الى الامام . وهو في طريقه ـ حرسه الله ـ الى اعمال اضخم . لأن يقفز قفزات أوسع ، ويخطو خطوات أبعد في تعزيز كيان القومية العربية .

نعم، انه ، بعد ان تسلّم الامانة الغالية من أب الوطن الروحي، في طريقه لأن يعمل في عهد جمهوريتنا العربية المتحدة لا لخير مصر وسورية فحسب بل للوطن العربي كله .

وهذه امنية العرب في كل بقعة من بقاع ديارهم . يهتفون بضمائرهم الحية وشعورهم المتقد ـ يهتفون جميعهم من الأعماق ان يأخذ الله بيده ليتم رسالته العظمى ولو كره المستعمرون واذناب المستعمرين .

ان هذا اليوم التاريخي ـ يوم الواحد والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٥٨ ـ هو يوم مقدس في تاريخ الأمة العربية .

يوم الانطلاقة الكبرى لمجد جديد .

لانتصارات فـــذة .

لفتوحات تعود على جميع البلاد العربية بالخير العميم .

كتب الله لأمتنا العزيزة السيادة المطلقة .

والله اكبر .. والعزة للعرب .

الفهرس

المقدمة للاستاذ نظير زيتون

القومية العربية في انطلاقاتها الكبرى للرسام كيغام

الاهداء

١ في مصرع الاحداث

١٢ سطور سريعة عن مراحل القضية العربية .

٢٨ صديقة العرب !!

٣٧ سطور سريعه عن مراحل القضية السورية

٦٥ رجل قاد الأمة الى طريق المجد

٦٩ ايمان الشرق بالغرب !

٧٥ حرب فلسطين

٧٨ المحنة الرهيبة

٨٤ عظة الخيمة

٩٠ لا تيأس

٩٢ ابراهيم هنانو

تابـع (الفهرس)

٩٧ خواطر مبتسرة :
مصير الجامعة
٩٩ اصدقاء العرب
١٠٠ تشاؤم ترومان
١٠٢ فقر وعوز ،لؤلؤ وبترول
١٠٥ مأساة مراكش
١٠٧ العار لامريكا
١١٢ هذه الانتفاضات !
١١٥ الدور الخطير الذي تلعبه مصر وسورية في التحرير العربي .
١١٩ درس من العدوان
١٢٧ ميلاد الجمهورية العربية المتحدة
١٣١ الوحدة التي ايقظت العرب من جديد

للمؤلف :

نظرات في النقد والتاريخ والأدب ـ نقد ـ

شهر في اوروبا ـ نقد ـ

سيف الدولة وعصر الحمدانيين : يطبع ثانية

الفكر العربي بين ماضيه وحاضره .

الراحلون ـ نقد ـ

ابو العلاء : دفاع بن العديم عنه

من اضواء الماضي ـ مباحث تاريخية ـ صدر في سلسلة أقرأ ـ

انواء واضواء ـ مجموعة قصصية ـ

المرأة : هذا اللغز الأبدي

مع طه حسين ـ صدر في سلسلة اقرأ ـ .

بنت يزيد ـ قصة معربة عن التركية ـ صدر في سلسلة اقرأ ـ

الحكيم شهاب الدين السهروردي ـ سلسلة نوابغ الفكر العربي ـ من الأدب المعاصر .

الحركة الادبية في حلب من سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٩٥٠ ـ محاضرات القيت في معهد الدراسات العربية العالمية .

مؤلفات جاهزة للطبع

ولي الدين يكن

الادب العربي المعاصـــر من سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٩٥٠

ـ بتكليف من الادارة الثقافية للجامعة العربية ـ

يوميات عربي في امريكا

قصص وصور

شعر وخمر

من خيوط الحياة : مقالات ومحاضرات في الادب والتاريخ ـ

في وادي الشياطين ـ قصة طويلة ـ

رحلة الى الفردوس المفقود .

تصويبات

وقعت اخطاء مطبعية كثيرة اكتفينا بالاماع الى بعضها معتمدين في تصحيحها على فطنة القارىء .

الصفحة	السطر	الصواب
٥	١	اليهود
١١	٦	باثارتهم
٢٠	١٩	تعيينهم
٢١	٥	ولم تكن هذه الاخاديع
٥٢	٣	من التعميم
٥٦	١٩	ان يظهر
٦٥	٨	ينضح
٦٧	١٨	الثقافات
٧٢	١٨	تتحقق فيها
٧٦	١	باجرامهم
٨٤	٤	كوارث
١٢٣	٥	جوانحه
١٢٦	٢	بالهدى والحق

من كتب المؤلف

الفكر العربي

سيف الدولة وعصر الحمدانيين

من الأدب المعاصر

مع طه حسين

شهاب الدين السهروردي

الحركة الادبية في حلب

١٨٠٠ - ١٩٥٠

مطبعة الشرق انطوان طانوس وشركاه حلب

الثمن ٢٠٠ قرش سوري

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074067883